آن ميثر

كيف أحيا معك؟

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

BEWARE the BEAST



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم باللغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

كيف احيا معك ٣٥



١ ـ ما وراء الضحية

بعد ثلاثين يوماً من وقوع حادث والدها تم استدعاؤها الى مكتب المحامي، بينما بدأت تستعيد توازنها الطبيعي الذي فقدته نتيجة للصدمة اثر وفاة والدها، هذا اذا كان من الممكن لأي شيء أن يعود طبيعياً. وكم تساءلت مراراً وتكراراً كيف حدث ذلك؟ كيف يمكن لأبيها الخبير بالابحار أن يفقد سيطرته كلياً على الزورق؟ ما من أحد سيعرف الجواب أبداً. وارتعدت شارلوت لذكرى جثة أبيها المنتفخة.

من الطبيعي أن يظهر لها أصدقاء أبيها ومعارفه في العمل، كلّ تعاطفهم وأسفهم، ولا عجب في ذلك، فقد أصبحت وحيدة في هذا العالم الآن بعدما توفيت والدتها منذ ثمانية أعوام. وبالرغم من أن شارلوت لم تر الكثير من أبيها لكونها في المدرسة معظم الوقت، ولكنها من المؤكد ستفتقده الى حد كبير.

حقاً انهم ما كانوا أغنياء أبداً ولكنهم لم يكونوا محتاجين، وكم كانت دهشتها عظيمة عندما علمت أن أبيها قد أمّن على حياته بمبلغ كبير قبل وفاته بأسابيع قليلة فقط من الطبيعي أن ذلك أثار بعض الشكوك لدى التحقيق ولكن محامي أبيها أكد للمحقق أن والدها لم يكن يعاني من أيّة مشاكل مادية. بيتهم في منطقة ريجنت بارك يقدر اليوم بثروة، وكذلك أعمال الشركة التي كان يملكها أبوها تسير بشكل حسن، ولم يكن هناك من سبب واضح يدفع تشارلز مورتيمور للانتحار، وبالتالي استبعدوا مثل هذا الاحتمال في التحقيق. ومع ذلك فاكتشافها بأنها، بين ليلة وضحاها، أصبحت وريثة أقلقها وخاصة أنها لم تشعر أبداً في يوم من الأيام بالحاجة للكثير من المال. ولم تعرف لماذا شعر والدها بوجوب التأمين بهذا الشكل ولم تعرف ما تفعل بهذه النقود.

لدى وقوع الحادث كانت تعمل بضع ساعات يومياً في محل تجاري للالبسة في نايتس بريدج. كانت صاحبة المخزن والدة صديقه لها في المدرسة وبما أنها أنهت المدرسة الآن ولم تقرر بعد ماذا ستفعل رحبّت بفكرة تقاضي راتب ضئيل لقاء ساعات قليلة من العمل، وكذلك فرحت بفكرة دراسة الازياء عن قرب وخاصة أنها كانت تنوي دراسة التصميم في الكلية.

كل هذا بدا في الماضي البعيد الآن وبدأت تلوم نفسها بشدة لأنها لم تكرس لأبيها اهتماماً أكبر. ربما لأنه كان تعباً ومرهقاً في العمل. وتذكرت بعض علامات التعب والارهاق على وجهه في بعض الأحيان، ولو أنها لم تكن مستغرقة الى هذا الحد بالتفكير في مستقبلها ربما كانت أثنته عن الخروج في تلك الرحلة الأخيرة.

وبعد ذلك تم استدعاؤها الى مكتب المحامي برسالة صغيرة جافة قرأتها عدة مرات قبل أن تضعها في حقيبتها ـ ربما أن المحامي استغرب عدم اهتمامها بالأرث، أو أنه متحسب لانقطاع رزقه بعدما توفي تشارلز مورتيمور ولم يعد هناك من حاجة لخدماته. في أي حال لم تكن شارلوت مهتمة بالموضوع، حيث تمّ تقدير الشركة وقررت أن تتابع المعيشة في بيتهم في ساحة غليب فماذا ستفعل بمئة ألف جنيه؟

لما دخلت الى مكتب فولستاف المحامي تذكرت زياراتها المبكرة له بعد وفاة والدها مما جعلها تشعر بجفاف حلقها وحرقة الدموع في عينيها.

كان السيد فولستاف قصيراً نحيلاً حاد العينين عندما بدأ يحدق بشارلوت، الجذابة النحيلة الطويلة وهي مرتدية سروال الجينز وشعرها الأحمر القاتم مسدولاً على كتفيها مما جعلها تبدو أصغر من الثمانية عشر عاماً.

وبعد أن صافحها طلب منها الجلوس وبقي واقفاً وقال لها:

«أنا سعيد بقدومك لأن الأمر مستعجل».

واعتذر منها ليجيب على الهاتف الذي رنّ في تلك اللحظة، مما أعطى شارلوت بعض اللحظات لتتمالك نفسها وتدرس المكتب. وتساءلت: لماذا تبدو مكاتب المحامين دائماً جافة وحزينة؟ هل لأن الناس فقط تأتي هنا لتحلّ أمورها المتعلقة بالموت وتعقيداته؟

وأبعدت هذه الأفكار عن مخيلتها. توفي أبوها وهذا واقع لا بدّ من تقبله، كلنا سنموت يوماً ما، وكما قال لها أحدهم: الشيء الوحيد الأكيد في هذه الحياة هو الموت. وارتعدت لدى تذكرها هذه الحكمة. وضع السيد فولستاف السماعة

وعاود الحديث معها معتذراً عن المكالمة الهاتفية. فأجابته:

«لا بأس ولكن أنت أردت رؤيتي؟»

كانت تحاول استعجال الأمور.

فنظر اليها بصمت بضع دقائق وغرق في كرسيه وأخذ يعبث بقلمه وقال لها:

«قولي لي يا آنسة مورتيمور هل سمعت بأليكس فولكنر؟»

فحملقت به شارلوت وقالت:

«أليكس فولكنر؟ الأسم لا يعني لي أي شيء، هل يجب أن أكون قد سمعت به؟»

«ألم يذكره لك أبوك يوماً على الاطلاق؟»

«لا، قلت لك لم أسمع بالأسم من قبل»

«لا، لا بالطبع لا، ولكن بالتأكيد سمعت بشركة فولكنر انترناشيونال؟»

وأجابت بحركة نفي من رأسها:

« فولكنر انترناشيونال، لا أظن ذلك. أسمع ماذا تريد أن تقول ولماذا تحاول أن تعرف فيما لو كنت أعرفه أم لا؟»

ستعرفين في الوقت المناسب ياآنسة مورتيمور. وستقدّرين حالا أنني بموقف محرج وأحاول أن أتصرف في الموضوع بأفضل طريقة ممكنة».

وأجابت شارلوت بضيق:

«تتصرف بماذا؟»

«سأشرح لك يا آنسة مورتيمور».

وتحرك في مقعده وقال:

«ذكرت أنك لم تسمعي بفولكنر انترناشيونال أنا مستغرب. ألا تعرفين الاسم: نفط شحن، نوادي قمار».

«أرجوك سيد فولستاف تكلّم بالموضوع».

«حسناً اليكس فولكنر كان شريكاً لابيك».

«والكثير من الناس كانوا شركاء له».

«أنا أقدر ذلك ولكن هذه العلاقة تختلف».

«وكيف تختلف؟»

«يجب أن تفهمي يا آنسة مورتيمور بأن أليكس فولكنر لا يتدخل في سير شؤون شركاته، فهو يوظف مدراء لهذا الغرض وقليل من الناس يعرفونه. وفي الحقيقة أعتقد أنه يحيا حياة هادئة».

وتنهدت شارلوت:
«إذن؟ وما لذلك علاقة بي؟»
وضاقت شفتا السيد فولستاف قائلاً:
«أعطني وقتاً يا آنسة مورتيمور. أنتم الشبان دائماً تستبقون الأحداث، من الضروري أن تتفهمي الصورة».
وتنهد متابعاً:
«جدك عرف أبوه جيداً».
واجابت شارلوت بملل:
«حقاً؟»
«نعم يجب أن أشير هنا الى أن السيد فولكنر ليس تماماً من جيل أبيك. أعتقد أنه في الاربعين من العمر. كان أبوك أكبر منه بعدة سنوات أليس كذلك؟»
«أنت تعرف ذلك».
«نعم، المهم أبوك وفولكنر التقيا مرة ثانية منذ سنوات خلت. في الواقع تشاركا اهتمامها بالابحار. كان أبوك يعرف فرنسا جيداً، أليس كذلك؟»
وأومأت شارلوت بالايجاب قائلة:
«كان عندنا فيللا صغيرة، بالأحرى بيت صغير وباعه أبي منذ مدة».
وأومأ فولستاف قائلاً:
«ولم يذكر لك فولكنر؟»
«ولماذا يجب أن يذكره لي، أنا كنت ما زلت في المدرسة ولم أعرف كل معارفه في العمل».
وتنهد فولستاف:
«هذه لم تكن علاقة عمل تماماً».
وتردد قبل أن يتابع:
«آنسة مورتيمور، كنت تعرفين اهتمام أبوك بالقمار، ؟أليس كذلك؟»
وجمدت شارلوت قائلة:
«لا أعلم ماذا تقصد».
«أظن أنك تعرفين».
«راهن بضع مرات على الأحصنة، أعرف ذلك».
«لم أقصد ذلك، لم تعرفي، أنه كان يلعب الورق مثلاً »

«أعلم أنه كان يستمتع بلعب البريدج».
«لا يا آنسة مورتيمور، البوكر».
واستعضت قائلة:
«لا».
وهزّ السيد فولستاف رأسه قائلاً:
«هذا أصعب مما توقعت، آنسة مورتيمور، كان أبوك مدمناً على القمار منذ عدة سنوات».
«لا».
«للأسف هذا هو الواقع».
وابتلعت ريقها بصعوبة قائلة:
«وما دخل هذا بأليكس فولكنر؟»
«سأشرح لك ذلك».
«قلت لي ان فولكنر يملك نوادي قمار، هل أقنع والدي باللعب هناك ليخسر نقوده؟»
فأجابها فولستاف مرتبكاً:
«أنا لا أعني ذلك، على العكس فولكنر قلما يدخل الى نواديه. ولكن أبوك أصبح مديناً بالكثير من المال».
«أنا لا أصدق ذلك. لماذا؟ شركتنا، بيتنا، كل شيء يبدو على ما يرام أليس كذلك؟»
«ولكن فولكنر يملك كل ممتلكات والدك كأنه اشتراها».
«لماذا لم أعرف أنا بذلك؟ ولماذا لم أخبر بذلك؟»
وكانت شارلوت قد أرهقت عصبياً. فقال المحامي:
«لسبب بسيط أني أنا لم أعرف إلاّ أمس».
«ولكن ما الذي يجعلك متأكداً؟»
«أنا مقتنع بأن ما قاله محامي فولكنر صحيح».
انتصبت شارلوت واقفة غير قادرة على الجلوس قائلة:
«أنا لا أستطيع تصديق ذلك».
«ولا أنا في البداية».
وبدأت تفكر محاولة استيعاب ما قد يعني ذلك لها. وبعدها استدارت وقالت:

«التأمين، شكراً لله على ذلك».
«للأسف فأنت مخطئة».
«ماذا تعني؟»
«ألا ترين يا آنسة مورتيمور أن هذا يلقي ضوءاً مختلفاً نهائياً على موت أبيك؟ عندما يعلم البوليس بأن والدك كان مديناً كلياً أشك في أنهم سيقتنعون بما وجده التحقيق».
«هل تعني ـ أنت تعني ـ تظن أن والدي، لا أظن ذلك...»
«في مثل هذا الظرف لا أستبعد ذلك».
وحملقت شارلوت به قائلة:
«أية ظروف؟»
«تفضلي يا آنسة مورتيمور بالجلوس، لم أنته بعد».
وبدت شارلوت وكأنها رفضت ولكنها عاودت الجلوس محدقة بالمحامي بقلق.
«عندي رسالة من فولكنر وفي تلك الرسالة يبدو واضحاً أنه وقّع مع والدك عقداً مثبتاً بدلاً عن المبلغ الكبير الذي استدانه والدك؟»
«ما نوع العقد دعني أرى الرسالة؟»
«سترينها في الوقت المناسب وباختصار هي تسديد لكل ديون والدك مقابل شيء آخر».
«أرجوك كفاك اطالة بالحديث، ما هو ذلك الشيء؟»
«أنت يا آنسة مورتيمور، أنت».
«أنا، وغرقت في مقعدها ـ ماذا تعني ـ أنا؟»
وبدا السيد فولستاف ممتعضاً:
«آنسة مورتيمور حاولت خلال حديثي أن أشرح لك بأن السيد فولكنر شخص غريب ولا يهمه أحداً وبالتالي فهناك قليل من النساء في حياته. ومع ذلك فهو يدرك أنه يوماً ما سيتقاعد وعندما يحصل ذلك فهو بحاجة الى وريث يتابع أعماله بعد موته».
«ماذا تعني؟»
وغصّت غير مصدّقة محاولة أن تشكل في ذهنها شكلاً لما بدا مضحكاً غير قابل للتصديق:
«يا الهي ماذا يظن أني آلة تفقيس؟»

«أرجوك آنسة مورتيمور ليس هذا مجالاً للضحك».
«أنت على حق بالطبع هذا ليس مضحكاً. انه حماقة ـ ولا يمكن لي أن أصدّق بأن انساناً في هذا اليوم والتاريخ يفكّر بمثل هذا ـ انه بربري. أنا؟ أتزوج من رجل لا أعرفه؟ رجل يصلح أن يكون والدي؟ هذا اذا كان صحيحاً ما أفترض بأنه يفكّر بالزواج».

وكان المحامي على يقين من هذه النقطة وقال:

«آه طبعاً يقصد الزواج».

«لربما قرر فقط أن يستعلمني».

«آنسة مورتيمور».

«انه جنون».

«السيد فولكنر رجل قوي العزم».

«حسناً ولكن هذا لن يتمّ».

«ولكن الأمر ليس كما تتصورينه».

«لم لا؟»

«لا أظن بأنك فكرت فعلاً ما معنى ذلك يا آنسة مورتيمور، ان أليكس فولكنر يمتلكك تماماً كما امتلك أبوك وبيتك وثيابك وسيارتك وحتى الشركة».

«ولكن ما زال هنالك التأمين».

«أشك بأن يدفعوا».

«ما الذي سيدفعهم للشك. أنت نفسك قلت بأنك لم تعلم حتى...»

«يجب أن أفكر بمركزي، يجب أن نخبرهم. وحتى لو أنني سأسكت فأليكس فولكنر لن يسكت».

«هل تعني أنه قد يخبر البوليس؟»

«اذا لم توافقي على مخططاته قد يلجأ الى أي شيء».

شعرت شارلوت بالغثيان وتساءلت:

«لماذا يفعل ذلك؟ القذر.»

«لأنه يريدك زوجة له».

«ولكن لماذا؟ لماذا أنا؟»

«ربما ان أبوك...»

وتوقف عن الكلام:

«لا أعلم. آنسة مورتيمور انه لا يبحث عن امرأة يحبها، وانما يبحث عن أم لابنه».

«يا إلهي انه اقطاعي. دعه يفعل مايشاء. ليأخذ الشركة وليأخذ المنزل وليأخذ السيارة، أنا أستطيع أن أحصل على رزقي وعندي عمل. أنا لست بحاجة لنقوده حتى لو كان أبي بحاجة له».

كانت ترفض أن تفكّر بكل ما يحمل الأمر من معان مؤلمة.

واقترب منها السيد فولستاف قائلاً:

« شارلوت، لا تظني سوءاً بأبيك ولكن برأيي أنه انتحر... لعدم تمكنه من مواجهة ما فعل».

وتذكرت شارلوت التأمين وقالت:

«لا...لا ربما انه حاول التكفير. فقد أمنّ على حياته قبل موته بفترة وجيزة لأنه توقع أن يأخذ فولكنر كل نقوده...»

وكتمت شارلوت تنفسها وقالت:

«هل تظن...»

وقال فولستاف بتصميم:

«لا، ليس هناك من فائدة. حيث أني اتصلت بمحامي السيد فولكنر بعد استلام الرسالة وأكد لي أن السيد فولكنر لم يعد مهتماً بتسديد الدين»

«ولكن هل هذا قانوني؟»

«انه ليس منافياً للقانون. ليس في هذه الحالة. انه ابتزاز اخلاقي، ولكن ليس غير قانوني. ومن الواضح أن والدك لم يعط الرجل حق قدره».

«ماذا تعني؟ ما نوع الابتزاز الاخلاقي؟»

«فكري يا شارلوت بما قد تكتب الصحافة عن انتحار أبيك؟ هل أنت على استعداد لأن تمرّغي سمعته في الوحل؟»

وأطرقت شارلوت رأسها قائلة:

«اذا كان ما تقوله صحيحاً فان أبي توفي بسببي. فهل تظن بأنه يبالي بتلوث اسمه؟ فيما لو كان هذا يمنع أليكس فولكنر من تحقيق أغراضه؟»

وتنهد السيد فولستاف بقلق قائلاً:

«أنت نسيت العقد؟»

«أنا لم أوقع أي عقد».

«لا، ولكن أبوك وقعه».

وقطبت شارلوت مؤكدة:

«ليس من المعقول أن ينشر فولكنر ذلك، لأنه سيورّط نفسه بالموضوع».

«ليس بالضرورة. شارلوت، أنت تنسين بأن رجلاً بمركز أليكس فولكنر يمكنه أن يفعل ما يشاء بدون المعاناة من أية نتائج. أنا على يقين بأنه يملك أكثر من محرر رئيسي في جريدة عامة. فهل تتخيلين كيف يمكنهم تصوير الموضوع: مثلاً ـ ثمن العذرية ـ أو ـ رجل أعمال يدفع ابنته ثمناً لتسديد ديونه ـ أو الألعاب الشائنة التي يلعبها الناس ـ وبهذا تكون نهايتك».

«أظنك، يجب أن تقترح بأن تضع أنت العناوين الرئيسية بنفسك».

فأجابها السيد فولستاف بهدوء:

«هذا ما قيل لي وليس من عندي»

نهضت شارلوت من مقعدها ومشت في الغرفة بقلق مرددة:

«لا يمكنه أن يفعل هذا بي. لا يمكنه».

فهزّ السيد فولستاف كتفيه قائلاً:

«لا أضمن لك ذلك. يا آنسة مورتيمور. إلاّ اذا كنت مستعدة لتحمل النتائج المترتبة».

مشت شارلوت الى النافذة وتطلعت الى الشارع. لم تكن تستوعب كل ما سمعته وما استوعبته لم تصدقه. سمعت بأناس يمتلكون آخرين، ومن لم يسمع بذلك؟ ولكن أن يكون أبوها من هذه المجموعة، لم تستطع تحمّل ذلك. من هو ذلك الرجل الذي يعتقد بأن يسيطر على حياة وموت الناس؟

أي نوع من البشر قد يكون ليدفع انساناً الى تقبل دفع ابنته ثمناً مقابل لعبة ورق؟ بدت لها القصة كمسرحية درامية من العصر الفيكتوري، الا أنها لم تكن هي فيكتورية. بالاضافة الى أنه رجل بلا مشاعر وبلا قلب غير قادر على الحصول على زوجة لنفسه.

وقالت وهي تلتفت:

«وأين هو؟ هذا أليكس فولكنر؟ أريد رؤيته».

وقال فولستاف ببرود:

«انه لا يعيش في انكلترا ويمكن ترتيب مقابلتك له».

وارتجفت شفتاها قائلة:

«نعم رتّب ذلك. أريد أن أقول له بوجهه ما هو بالضبط وما هو رأيي فيه».

وقف السيد فولستاف قائلاً:

«آوه، شارلوت أرجوك لا تتسرعي. فأنت أكبر من تلميذة مدرسة وبامكانه التهامك حية».

«اوه حقاً. ليس بعد أن أقول له أنه وحشي غير انساني. انه انسان شاذ يتلذذ بتعذيب الآخرين».

ولاحظ فولستاف عينيها المغرورقتين بالدموع فهز رأسه وقال لها:

«كفاك يا بنيتي تعذيب نفسك بهذا الشكل»

«وماذا يجب أن أفعل؟ أتقبّل الأمر؟»

«أظن أنك يجب أن تتقبليه. هناك أسوأ من ذلك».

«حقاً؟»

«بالطبع. حالما تنجبين له الوريث لثروة فولكنر فستكونين حرّة، للحصول على الطلاق وتعيشين ببحبوحة مدى حياتك. عندما تكونين في الواحدة العشرين ستكونين امرأة حرة بنفسك مرة ثانية».

وقطبت شارلوت حاجبيها قائلة:

«وهل ذكر هو ذلك؟»

«هذا هو العقد».

وقالت شارلوت بنفس متقطع:

«العقد؟ وأين هو؟ أظن أن لي الحق برؤيته».

فتح السيد فولستاف أحد أدراجه وسحب مغلفاً وأعطاه لشارلوت. خذيه معك فهو صورة عن العقد بالطبع. وسأتصل بك هاتفياً غداً عندما أتزّود بمعلومات أكثر»

أمسكت شارلوت مغلفاً وقالت:

«من باب حب الفضول فقط أين يسكن فولكنر؟»

«يملك احدى جزر اليونان واسمها ليدروس. فهو يمضي معظم أوقات فراغه هناك. ويجب أن أذكر لك أنه يملك بيتاً في كل واحدة من معظم عواصم العالم، عنده شقة فاخرة مثلاً تطل على الهايد بارك، وبيته الريفي في الجانب الشرقي من نيويورك...»

فقاطعته شارلوت بحدة:

«لا أريد أن أعرف عن ممتلكاته. ويمكنك أن تبلغ أياً كان تتصل به أني أرفض البحث في هذا الموضوع أكثر من ذلك حتى أقابل أليكس فولكنر».

وقام فولستاف بحركة يائسة:

«عزيزتي لا تقولين لفولكنر ما يفعل وانما تقترحين».

«اذاً اقترح، ولكن تأكد من نقل الاقتراح صحيحاً».

وصدر عنها صوت بين البكاء والضحك.

«يا إلهي، تخيّل انني أصرّ على رؤية الانسان الذي من المفروض أن أتزوجه».

في الساعة الثالثة صباحاً، قامت شارلوت بتحضير الشاي لنفسها بعد أن استلقت ساعات بدون فائدة، عقلها بنشاط دائم وأعصابها متوترة.

لم تكن تصدق ما كان يحدث لها ولكنه كان يتم بدون ارادتها وهناك القليل مما قد تستطيع فعله. حقاً انها أحبت أبيها بقدر كبير ولكن ما سمعت عنه في ذلك اليوم هزّها في الأعماق. وتذكرت القليل الذي عرفته من استمتاع والدها بالقمار، المناسبات القليلة التي فاجأها فيها بهدية، احدى الهدايا احتفالاً بربح أحد الأحصنة على منافسه. هل كانت صغيرة على أن ترى ما كان مخبأ وراء ذلك كله؟

وكالمخدرات ربما استحوذت عليه بالتدريج بتشجيع رجال كأليكس فولكنر بالتأكيد. ولكن مهما كان فليس الى الحد الذي يدفعه الى توقيع مثل هذه الوثيقة المشينة التي قرأتها. كيف يمكنه ولو للحظة أن يفكر بمثل هذا الحل؟ وبعدها ينتحر بمثل هذه الطريقة... فقد أصبحت على يقين الآن بأن هذا ما فعل. بعض الناس يقولون بأن الانتحار جبن وخوف من مواجهة الحياة وفي الحالة التي هي فيها الآن فهي توافقهم برأيهم. فبأي طريقة ينظر اليها الانسان ليس هناك من مبرر وهي عمل مشين، خديعتها من جهة وخديعة شركات التأمين من جهة ثانية.

وكأنّ الشخص الذي أحبته واحترمته لم يوجد على الاطلاق، يا له من ادراك مدمّر. ومع ذلك لم تتحمل التفكير فيما قد يقوله زملاء أبيها لو اكتشفوا الى أي مدى تورّط. شعور داخلي بالكبرياء جعلها تجفل من ضحكتهم المخيفة ومن شفقتهم لو عرفوا بالامر. فلو نفّذت العقد تكون بذلك تؤدي خدمة لنفسها وليس من أجل أبيها. لا بد أن أليكس فولكنر انسان داهية وساخر.

تناولت احدى الحبوب التي وصفها لها الطبيب بعد وفاة والدها مما ساعدها على الاستغراق في النوم أخيراً حتى الصباح الباكر. واستيقظت بعدها بصداع وطعم

مرير في فمها. في البداية لم تتذكر بالضبط لماذا نامت متأخرة، ولما تذكرت دفنت وجهها في الوسادة... تمنت لو كان بامكانها أن تدفن أليكس فولكنر. ومن ثم نهضت من فراشها.

نزلت بعد ربع ساعة تبدو نحيلة شاحبة مرتدية سروال جينز وبلوزة قطنية. وقد ربطت شعرها الى الخلف. ووجدت لورا وينترز المساعدة اليومية حيث كانت مشغولة بتقطيع الخضار في أحد الأطباق. كانت لورا من جزر الهند الغربية في الثلاثين من عمرها، مطلّقة وتعيل طفلين وتعيش في شقة قريبة من منزل شارلوت، وعملت لدى عائلة مورتيمور لمدة خمس سنوات فائتة. بدا عليها الارتياح لدى رؤية شارلوت بالرغم من ملاحظتها السواد حول عيني شارلوت وقالت:

«بدأت أسائل نفسي لو كان يجب ايقاظك. تأخرت في العودة مساء البارحة. أليس كذلك؟»

هزّت شارلوت رأسها بالنفي:

«لا. لم أنم جيداً يا لورا. هل أنت على مايرام؟»

«أنا بخير غيران ابنتي جيسي مريضة بعض الشيء من كثرة تناول الخوخ. ولكن لا بأس عليها ستكون بخير. تلك الشجرة مليئة هذا العام ولا بد أني صنعت أكثر من سبعة كيلوغرامات من المربى».

عضت شارلوت على شفتها، فقد كان والدها يحب المربى الذي تصنعه لورا.

تناولت شارلوت كأسا من الماء وقالت:

«هل من مخابرات هاتفية لي؟»

وأجابت لورا مقطبة:

«بالطبع وكنت على وشك أن أنسى، تلك السيدة التي كنت تعملين عندها اتصلت بك، فسرت شارلوت بالارتياح، وطلبت مني أن أخبرك بأن نصف الشبان الذين كانوا يترددون على المخزن انقطعوا عن المجيء».

فابتسمت شارلوت وتابعت لورا:

«مابك؟ تبدين شاحبة هل ما زلت تعذبين نفسك على ذكري والدك. هذا لن يفيدك. لقد توفي، والحياة مستمرة، شدّي نفسك يا شارلوت»

وضعت شارلوت الكأس من يدها وقالت:

« لورا من المحتمل أن أسافر».

وبدت لورا مندهشة:

«مسافرة؟ الى أين؟»

«لا أعلم. اليونان ربما»

وبدت لورا مذهولة:

« اليونان. ومن تعرفين في اليونان».

وأجابت شارلوت بحدة:

«لا أعلم أين سأذهب بعد. أنا آسفة يا لورا ولكن يجب أن أذهب».

وقطبت لورا مجيبة:

«هناك شيء تخفينه وراء هذا الموضوع. هل أنت متأكدة بأنك تخبريني الحقيقة؟ أقصد عن البارحة. هل أنت متأكدة أنك لم تتورطي مع أحد الشبان؟»

وقهقهت شارلوت بشكل هيستيري، وقالت لنفسها لو أن لورا تعرف حقيقة الأمر ومن ثم توجهت الى المطبخ وقالت للورا:

«لا تحضري الكثير لطعام الغداء فأنا لست جائعة».

وتركت لورا لتخميناتها وذهبت الى القاعة المطلة على حديقة المنزل الخلفية والتي تعتبر أكبر من الحدائق العادية في لندن وهذا ما كان يستهوي والدتها في هذا البيت لأنها كانت تحب الاعتناء بالنباتات والزهور بنفسها. ومن الذكريات الحيّة في مخيلة شارلوت كانت صورة أمها وهي تعلمها اسماء النباتات وكيف تعتني بها. وبعدها ذهبت شارلوت الى المدرسة ومن ثم توفيت أمها، وقد أخبرها والدها أن أمها كانت مريضة بالقلب وتوفيت باحدى الازمات.

وخرجت شارلوت الى الحديقة التي كان يعتني بها بستاني هذه الايام مما جعلها جميلة منسقة. لن تستمر الأمور على ما هي طويلاً ومهما حصل فيجب أن يباع البيت. كان الطقس قد بدأ يميل الى البرودة مع قرب حلول فصل الشتاء. ودق جرس الباب في حين أن شارلوت كانت تتفحص خنفسة سجنت نفسها بين حجرين، ولم تذهب الى الباب ولكنها سمعت خطوات خلفها حيث كانت لورا مرتبكة تقول:

«هناك رجل يريد رؤيتك».

وانتفضت شارلوت مستفسرة:

«رجل؟»

«نعم، لم أره مطلقاً من قبل ولكنه يصرّ على أنك ستعرفينه ولم أعرف ماذا أفعل ولذلك تركته في القاعة منتظراً. قال ان اسمه فولكنر».

« فولكنر؟ هل هذا صحيح؟»

٢ ـ اللقاء الاول

ارتبكت شارلوت لدى سماعها ذلك وقالت:

«فولكنر؟ هل أنت متأكدة؟»

وتطلعت لورا باستغراب:

«بالطبع متأكدة، لماذا؟ من هو؟ كانت تقلّه سيارة ليموزين ويبدو أنه غني، ألا تريدين رؤيته؟»

ومسحت جبينها بيدها وتساءلت:

«هل أريد رؤيته؟ نعم... ولكن ليس كذلك، ليس بهذه السرعة. ألهذا أتى؟ ليضيف عنصر المفاجأة على الهجوم؟ آه، نعم لورا أريد أن أراه».

وكانت تنظر بضيق الى نفسها مرتدية بنطلون الجينز والبلوز القطني. ولكنها لا تستطيع أن تغيرّ ثيابها لأنه سيراها لمجرد خروجها الى القاعة.

«ادخليه الى غرفة مكتب والدي وسأذهب لتغيير ملابسي. لا أستطيع رؤية أحد هكذا».

«ولم لا؟»

وفوجئت السيدتان بصوته الرجولي الخشن. حدقت فيه لورا مذهولة في حين أن شارلوت فقدت توازنها كلياً وشعرت أنه اذا كان هذا هو فولكنر فما من شيء فيه يطابق الانسان الذي تخيلته وقالت له بكبرياء طفولية:

«كيف تجرؤ على الدخول هكذا؟»

تخيلته رجلاً بديناً بغيضاً، مظهره يجعل النساء تنفر منه، في حين أن الحقيقة كانت بمثابة ارتياح لأنه كان طويلاً، له مظهر رجولي ميّال للسمرة مما جعلها

تتساءل فيا لو حمل دماء يونانية في عروقه. شعره أسود أملس كثيف. لم يكن وسيماً ولكن بالتأكيد كان جذاباً. أنيقاً يرتدي بزة مقلمة كحلية مع صدرية وبنطلون يظهر عن عضلات ساقيه القويتين.

لم تصدق شارلوت نفسها، لا يمكن أن يكون هو أليكس فولكنر، لا يمكن لرجل جذاب مثله ويتمتع بمثل تلك الثقة بالنفس وهاتين العينين الثاقبتين، لا يمكن له التفكير بشراء زوجة له.

وحاولت أن تستجمع نفسها بصعوبة مدركة أنه بانتظارها لتتكلم. وكذلك لورا كانت تتطلع اليها باستغراب، فشعرت شارلوت باحمرار وجهها وقررت أنه أليكس فولكنر، وهذه هي احدى أساليبه ليربكها.

وقالت له بهدوء:

«أنت السيد فولكنر؟»

«هذا صحيح».

ونظر اليها بوقاحة قائلاً:

«وأنت شارلوت».

شعرت بالضيق لارتباكها، مما جعله يشعر بالانتصار وتمالكت نفسها وذكّرت نفسها أن هذا الرجل الواقف أمامها هو الرجل نفسه الذي أجبر أبيها على توقيع ذلك العقد وهو الذي دفع أبيها للانتحار وشعرت بالمرارة وسألته:

«ماذا تفعل هنا يا سيد فولكنر؟»

وأجابها بهدوء:

«سؤال غير ضروري بعد أن طلبت رؤيتي».

ونظر الى لورا قائلاً:

«بامكانك الانصراف لأني أريد التحدث مع الآنسة مورتيمور على انفراد».

ووضعت شارلوت يدها على يد لورا مجيبة اياه بغضب:

«سأصرف لورا متى أشاء أن أفعل ذلك».

«اذا كنت تريدين مناقشة أمورنا أمام مدبرة بيتك فأنا لا مانع عندي ولكن أظن أنها ستجد ذلك محرجاً، أليس كذلك؟»

فتركت شارلوت يد لورا وضغطت على شفتيها بغضب وقالت:

«لا بأس لورا، شكراً».

خرجت لورا مجبرة وهي تنظر الى الخلف بشك وألحقها أليكس فولكنر

بقوله:

«بامكانك أن تحضرّي لنا القهوة يا لورا، أليس كذلك؟ وتأكدي أني لست مغتصباً أو متوحشاً».

وفتحت فمها مندهشة ولكنها بقيت صامتة. وأشارت اليها شارلوت بأنها يجب أن تفعل ما طلب منها. وبقيا وحيدين وقلبها يخفق بشدة.

نظر أليكس فولكنر اليها قائلاً:

«أتفضلين أن ندخل الى الغرفة؟ فلا أظن أنك تودين أن يسمع أحد محادثتنا».

وأجابته بغضب:

«هل تعني أنك أنت لا تريد أن يسمع مناقشتنا أحد».

«عزيزتي شارلوت اذا أردت مناقشة ادمان ابيك هنا في الحديقة فأنا لا أمانع بذلك».

ونظرت شارلوت حولها وبالرغم أن صوته عميق ولكنه مسموع بوضوح وخاصة أنه تكلم بصوت مرتفع قليلاً عن تعمد.

فأشارت له بغضب:

«اذاً ادخل الى الغرفة».

ودخلت قبله. ولحقها ببطء متطلعاً حوله بشغف فقالت له:

«هل تقدّر ممتلكاتك؟ أظن بأنك ستحصل على سعر جيد مقابل هذا العقار هذه الايام».

أغلق أليكس باب الحديقة واستند عليه قائلاً:

«قررت البيع اذاً؟»

«أنا قررت؟ ألا تعني أنك أنت قررت».

وهز أليكس رأسه بالنفي:

«لا. هذا بيتك وكذلك الشركة وما من قيمة لهذا عندي».

وحملقت فيه شارلوت قائلة:

«ماذا تعني؟»

«تماماً ما أقول. ماذا أستفيد من بيت ثان في لندن؟ ولكن أقترح عليك بيع الشركة فبامكانك دائماً استثمار النقود. بامكانك شراء بعض أسهم في شركة فولكنر فهي جيدة».

«ماذا تعني؟ وعماذا تتكلم؟»

وبدأت تشعر شارلوت بالارتباك وقالت:

«كل شيء ملكك وأنت تعرف ذلك».

«لا. كل شيء ملكك. وأنت فقط ملكي».

وضحكت شارلوت بشكل هستيري قائلة:

«لا يمكن أن تكون جاداً».

وجمدت ملامحه قائلاً:

«أود ألاّ أضطر للخوض في تلك التفاصيل مرة ثانية، حسب ما فهمت أن محاميك شرح لك الامر بوضوح البارحة».

وغصت شارلوت قائلة:

«شرح لي بوضوح تام. لن أتزوجك فأنا لا أعرفك بالاضافة الى أنك الرجل الذي دفع والدي لقتل نفسه».

ودس يديه في جيبيه قائلاً:

«اذن فقد اكتشفت...»

«وماذا تعني أني اكتشفت؟»

«أن موت أبيك لم يكن حادثاً بالطبع».

وأجابته شارلوت:

«تعني - تعني أنك تقف هناك وتخبرني ببرود أن والدي انتحر وأنت مدرك أنك أنت المسؤول المباشر».

فقاطعها ببرود:

«لم أكن مسؤولاً مباشراً. هل كان أبوك آلة؟ هل كان انساناً آلياً يتم تحريكه؟ لا... لم يكن. كان انساناً حراً، والقمار كان طبيعة ثانية له».

«لا».

«ولم يكن هناك من شيء ثمين عنده. يا الهي... لم تكن تلك هي المرّة الاولى التي يغامر فيها بروحه».

«ماذا تعني؟»

«لا يهمك».

وتنفس بعمق.

«وهكذا كنت أحول هو اختيار اللعبة. عرف القوانين كما عرفها الجميع».

وانفجرت شارلوت غاضبة:

«هذا سهل عليك جداً، أليس كذلك؟ هل هكذا يبرر كل المجرمين أعمالهم».

وتحوّلت عيناه التي ظنّت انهما بنيتان قاتمان الى سوداوين، واجابها بهدوء:

«أنا لست مجرماً. أنا لم أختر ذلك».

«ماذا تعني؟»

«أعني ـ أنه ككل المدمنين كان أبوك بحاجة الى لعبة أخرى، فرصة أخيرة ليستعيد خسارته ولم يتبق عنده شيء فاختارك أنت».

«لا أصدق».

«لا أتوقعك أن تصدقيني. ولكن عندما تعرفينني أكثر ستعرفين أني لا أكذب. ولا أتخذ قرارات سريعة لا أستطيع الحفاظ عليها. أنت ملكي يا شارلوت سواء أحببت ذلك أم لا. وستتزوجينني».

وبدأ العرق يتصبب من جبينها وراحتي كفيها ومؤخرة عنقها. وقالت:

«لماذا؟ لماذا أنا؟ أم أنك من النوع الذي يفضل الصبايا الصغيرات».

فابتسم بتهكم ـ وبدا واضحاً أنها لم تنجح باغضابه ـ وتذكرت ملاحظة فولستاف عن تحدي السيد فولكنر. وبدأ يتفحصها بطريقة أزعجتها وقال:

«ما من تفضيل عندي. طالما أنك لست قبيحة وبامكانك انجاب اطفال ما من مانع عندي».

«أتعني أنك تريد ابناً من أي امرأة؟»

«لا أعني ذلك ولكنك تبدين لي مناسبة».

وتراجعت شارلوت بسبب تهكمه وقالت:

«ولكن لا بد أن هناك عشرات البنات يقفزن لمثل هذه الفرصة».

«ولكنك أعجبتيني. وفي أي حال فلن اختار أماً لطفلي من بين النساء اللواتي قد يقفزن لمثل هذه الفرصة».

«ولكن كيف تعرف أي نوع من النساء أنا؟»

فهز كتفيه قائلاً:

«كونك غاضبة بشأن مصيرك، يؤكد لي بأن لك شخصية مستقلة، وهذا يعجبني».

فتبرمت شارلوت قائلة:

«هكذا اذاً... لو أني ألقيت بنفسي في أحضانك ربما كنت غيرت؟»

«مثل هذا السؤال الافتراضي لا يحتاج الى جواب. نحن نضيّع وقتنا، هل عندك أي سؤال؟» .

«أنا...أنا...»

وكانت شارلوت ما زالت تحدق بيأس عندما دقت لورا الباب ودخلت. ونظر أليكس حوله وأشار الى لورا لتضع الصينية على الطاولة.

ونظرت لورا بقلق قائلة:

«هل هناك ما تريدينه مني يا تشارلي؟»

في حين أن شارلوت لم تلاحظ وجودها، وكأنها سمعت الصوت من مسافة بعيدة.

«أنا آسفة لورا. لا، لا، لا شيء. شكراً»

وسألتها لورا باصرار:

«متى تودين تناول طعام الغداء؟»

فتدخل أليكس بحزم قائلاً:

«الآنسة مورتيمور ستتناول طعام الغداء خارج المنزل».

فتوسعت عينا لورا قائلة بذهول:

«لن تتغدي في المنزل بعد أن طبخت كل هذا الطعام الطيب؟ هل هذا صحيح يا تشارلي؟»

وهزّت شارلوت رأسها محاولة أن تبعد عنها الشعور بالغثيان وكأنها في حلم، وخاصة منذ أن وصل أليكس:

«أنا ـ ماذا؟ لا أعلم لورا».

واستدارت الى أليكس:

«هل سأتناول طعام الغداء خارج المنزل؟»

وأجاب متجاهلاً احتجاج لورا:

«نعم ستتغدى في شقتي».

ومن ثم وجهَ الحديث الى لورا قائلاً:

«بالمناسبة آنسة مورتيمور ستتزوج خلال أيام قليلة. ربما تريدك أن تبقي هنا فيما لو قررت عدم بيع البيت والا فستعلمك بما تنوي فعله».

«ماذا؟ ما هذا؟»

وحدّقت لورا بالفتاة التي عرفتها لمدة خمس سنوات قائلة:

«هل هذا صحيح يا تشارلي؟ هل ستتزوجين؟ لماذا لم تخبريني؟»

ابتلعت شارلوت ريقها بتشنج مجيبة:

«ليس بهذه السهولة يا لورا».
ونظرت الى أليكس بحدة:
«لم يستقر شيء بعد. لم يتم ترتيب الأمور».
فأجابها أليكس بهدوء:
«على العكس تماماً فكل شيء مرتب ولكن مستخدمتك مذهولة قليلاً بحظها الجيد».
«لماذا؟»
ولكنها تراجعت عندما أدركت ما قد يعني انكارها. ولكن كل شيء كان يتم بدون ارادتها وهو يتوقعها فعلاً أن تتزوجه، لقد حانت ساعة القرار.
انتظرت لورا لتسمع ما ستقوله شارلوت ولما لم تتابع حديثها قالت:
«أنا لا أفهم على الاطلاق ماذا يحدث، لم تذكر لي كلمة من هذا».
ونظرت الى أليكس متفحصة واستأنفت:
«لم أر هذا الرجل من قبل أبداً ولا أظن أنك أنت رأيته أيضاً».
شعرت شارلوت وكأنه حان لصمتها أن ينتهي وكم شعرت بالارتياح عندما قال أليكس:
«كنا نتراسل أصدقاء بالمراسلة. ووالد الآنسة مورتيمور عرف بالأمر وكان موافقاً على ذلك».
وشدّت شارلوت على قبضتي يديها واستدارت غير قادرة على مواجهة نظرات لورا المتهمة. لم تصدق لورا ما قاله أليكس ولكن ما من اثبات ضده. بالاضافة الى انه عاجلاً أم آجلاً عليها أن تصدق عندما تتحول الأمور الى حقيقة واقعة. وصرف أليكس لورا وأشار الى القهوة قائلاً:
«أحب القهوة مع ملعقتين من السكر بدون حليب فمن الأفضل أن تبدأي تعلّم واجباتك الزوجية هنا والآن».
وغاصت شارلوت في مقعدها بقلق قائلة:
«أنت فعلاً تتوقعني أن أسير في الموضوع؟»
«أنا على يقين بأنك ستفعلين».
بينما كان يجلس في مقعده بارتياح، لاحظت شارلوت أن أصابع يديه المتناسقتين طويلة وقد وضع خاتماً في كلّ من اصبعيه الصغيرين. احدهما ذهب مع الياقوت والثاني فضة سميك ينفع في العراك.

وقال مقاطعاً شرودها:

«دعينا نتناول القهوة ومن ثم تفكرين بما تودين معرفته أثناء طعام الغداء».

شربت شارلوت القهوة بدون أن تشعر مذاقها، وبعدها وقفت متطلعة اليه وقالت:

«يجب أن أبدل ثيابي».

قال وهو يعاود الجلوس:

«حسناً سأنتظرك هنا ولكن أرجوك لا تتأخري».

لم تجبه شارلوت وانما أطبقت شفتيها بتمرّد وخرجت صافعة الباب بقوة، وتنفست الصعداء عندما خرجت الى القاعة. تمنت لو كان بامكانها الهرب من هذا الموقف الذي راح يتطوّر بدون ارادتها. ماذا سيفعل لو أنها اختفت؟ ربما يستخدم شرطياً سرياً ليبحث عنها. أين يمكن لها أن تكون بأمان من مثل هذا الرجل؟ لم يكن هنالك من جواب لهذا. تطلعت لورا اليها من باب المطبخ عندما سمعت الباب وأسرعت اليها متسائلة بصوت منخفض:

«ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟ لا أصدق أنه كان يعرف أبوك».

ولمعرفة شارلوت الأكيدة بأنها لن تستطيع أن تخفي بسرها للورا قالت مؤكدة بقلق:

«نعم انه كان يعرف والدي، صدقيني».

فان كان عليها أن تتم العقد يجب ألا يعلم به أحد. فهي لن تتحمل الشفقة فوق كل شيء آخر. ستسير في الموضوع ولكن لن تجعله سهلاً عليه وستحاول أن تأخذ كل قرش ممكن منه

فأجابت شارلوت ببرود:

«نعم».

فسألتها لورا:

«وماذا بشأني؟ هل ستبيعين البيت؟»

وهزت شارلوت رأسها بالنفي وتنهدت مجيبة:

«لا، لا، لا أعلم. لا أظن ذلك».

«لا تقلقي يا لورا مهما حصل أؤكد لك أنك ستكونين بخير أنت وجيسي وبيلي. ربما سأحتفظ بالبيت، أعني لا تعلمين متى يحتاج الانسان البيت. وأنت ستهتمين به اذا أحببت ذلك».

قالت لورا:

«الأمر أعمق من ذلك. فأنا لست صغيرة ولن تخفي عليّ هذه الأمور».

فابتسمت شارلوت ولو أنها شعرت برغبة في البكاء وقالت:

« لورا... لقد أخبرتك بالحقيقة ماذا أقول لك أكثر من ذلك؟»

فأجابتها لورا:

«كما تريدين، ولكن لم يخطر لي أنه سيأتي اليوم الذي تكذب فيه عليّ تشارلي الصغيرة».

ففتحت شارلوت ذراعيها قائلة:

«انها ليست أكاذيب، أحلف بالله، اني لن أدخل الحريم. انه يريد الزواج مني. هل هذا غريب؟ أم لا تجدينني جذابة؟»

«انك تحاولين سوء فهمي عمداً يا تشارلي. أنت تعرفين أنك أجمل فتاة، صحيح أنك نحيلة ولكن هذا طبيعي في وضعك. هل أنت متأكدة من أنك ستكونين سعيدة؟ هل عنده ما يكفي من المال؟ هل سيعاملك معاملة حسنة؟»

فأحنت شارلوت رأسها محاولة اخفاء دموعها عن لورا وقالت:

«أتمنى ذلك. ويجب أن تعذريني الآن، عليّ أن أبدل ثيابي».

كانت شارلوت مدركة لنظرات لورا وهي تلاحقها لدى صعودها الدرج ولكن ما من شيء يمكن قوله لتخفف من قلقها، بالأضافة الى أنه لديها ما يكفيها من الهموم.

كانت بانتظار أليكس فولكنر سيارة مرسيدس يقودها سائق، واحدة من تلك السيارات التي ربما تلمحها شارلوت في الشارع فقط وكان هناك رجل آخر يجلس الى جانب السائق وقد انتفضا خارج السيارة لدى اقترابها. وقدمها أليكس لها قائلاً:

« فيتوريو سانتوس سائقي، واخوه ديميتريوس حارسي الخاص».

حارس خاص... ولّما تحرّكت السيارة الفاخرة نظرت شارلوت الى الرجل الذي يجلس بجانبها في المقعد الخلفي الواسع، وحتى تلك اللحظة لم يكن قد خطر لها أن هذا الرجل قد يكون معرضاً الى أعمال تخريبية وارهابية، ولّما تصبح زوجته هل ستحتاج الى حارس خاص هي الأخرى؟ زوجته... حتى هذه الكلمات بدت غريبة لها. وبدأت أفكار أخرى ترد في مخيلتها كونها زوجة لهذا الرجل يعني أنها يجب أن تستجيب لكل طلباته وليس لها الحق بأي أمور خاصة بها وحدها.

فارتجفت للفكرة. لم تكن تعرف بالضبط ماهية العلاقة بين الرجل والمرأة. بالطبع سمعت صديقاتها في المدرسة الداخلية يتهامسن عن تجاربهن ولكن الكلام والقراءة مختلفان اختلافاً كلياً عن التجربة.

أعجبت شارلوت بشقة أليكس مما أنساها مخاوفها مؤقتا، فبمقارنة الغرف بغرف بيتها التي لم تكن صغيرة كانت تلك الغرف واسعة جداً. وسجاد فخم حريري يغطي الأرض، نوافذ عريضة وأثاث من الطراز السويدي من المخمل الأزرق والأخضر.

رحّب بهم رجل كبير في السنّ ـ قدّمه لها أليكس على أنه بوتر، ولم تلبث أن اكتشفت أن بوتر يعيش في الشقة، يحضرَ الطعام لمستخدمه عندما تدعو الحاجة، بالرغم من وجود مطعم جيد جداً في الطابق الأرضي من البناية.

قدّمها أليكس الى الرجل المسنّ على أنها خطيبته مما سبّب امتعاضها، واقترح بوتر بأنها ربما ترغب بالتجول لرؤية الشقة... وكم شعرت بالارتياح عندما اعتذر اليكس داخلاً غرفة مكتبه ليجري بعض الاتصالات الهاتفية ومن ثم رافقها بوتر في جولة حول الشقة. لم تر شارلوت مثل تلك الفخامة في حياتها، كانت هناك ثلاث غرف نوم وفي كل منها تلفزيون ملوّن وجهاز موسيقى كامل. غرفة طعام فاخرة تستوعب أكثر من اثني عشر شخصاً. برغم امكانية تناول الطعام في المطبخ الأنيق والحديث. وسألت بوتر بتردد أي منهما غرفة أليكس، ولكن بوتر لم يستغرب ذلك وانما أشار الى الثانية كبراً في المساحة والمؤثثة بأثاث باللونين البني والأبيض مع ستائر بلون المشمش. وتساءلت في نفسها فيما لو استغرب الرجل المسنّ كون فولكنر قدّم له فتاة لم يرها من قبل على أنها خطيبته.

كلّ غرفة من غرف النوم كانت ملحقة بحمام خاص بها. وتطلعت بشكل خاص الى حمام أليكس ولكن ما من رجل يترك أثر شخصيته في مكان قلما يستعمله. وباختصار كانت الشقة رائعة.

دخلت شارلوت الى غرفة الجلوس لوحدها بعدما اعتذر بوتر منها ليذهب الى المطبخ فوجدت أليكس يجلس على احدى الارائك المخملية يتفحّص بعض الاوراق، ولمّا دخلت نظر اليها ووضع الاوراق جانباً وانتصب واقفاً وأخبرها بهدوء:

«لقد طلبت أن يرسلوا لنا الطعام هنا. أرجو أن يعجبك. فأنا دائماً أتناول طعاماً

انكليزياً عندما أكون في انكلترا لأنه لن يكون بالطعم نفسه في أي مكان آخر».

وأجابت شارلوت:

«أنا لست جائعة».

«كلام فارغ. الطعام لذة وضرورة بالاضافة الى أن المطعم هنا جيد جداً. و يبدو من ثيابك أنك خسرت بعض الوزن، وفي أي حال يجب أن نفعل شيئاً بخصوص هذا الموضوع بعد ظهر اليوم».

وأجابته بضيق:

«وما عيب ما أرتدي؟ وهي تتطلع الى البذلة الكحلية الصوفية التي ارتدتها آخر مرة في جنازة أبيها، وأحبّ أن أعلمك أني أنا صممت هذه البذلة في متجر كنت أعمل فيه قبل...»

وقال لها مبدياً لها معرفته الأكيدة بأمورها:

«لم تعملي هناك منذ وفاة والدك على ما أظن...وأكثر الثياب التي تباع هناك رخيصة وسيئة الصنع».

واحتبست شارلوت نفسها قائلة:

«أنت لا تعرف ذلك»

«أؤكد لك أني أعرف، بالاضافة الى أن اللون الكحلي لا يناسبك واللون الازرق يناسبك أكثر».

«هل تتجسس عليّ؟»

«لا ليس شخصياً، فقد تركت منظاري في اليونان».

فتململت شارلوت بضيق وقالت:

«لا تهزأ مني. حسناً. هل وظّفت أحدهم ليراقبني؟»

فتنهد أليكس قائلاً:

«في مركزي من الضروري أن أتحقق من كل شخص أتصل به».

«يا الهي هذا فظيع».

«ولكن أؤكد لك أنه ضروري».

وعضّت شارلوت على شفتيها وأشاحت بوجهها:

«لا يمكن لي أن أكون هكذا أبداً».

فأجابها بهدوء:

«ربما يجب أن تكوني كذلك يوماً ما».

ورن الجرس لطعام الغذاء. تناولوا وجبتهم في غرفة الجلوس وهم يجلسون بجانب النافذة مما سمح لهم بمشاهدة منظر جميل يشمل مساحة كبيرة من لندن تمتد ما بعد التايمز الى خضرة منتشرة حيث حدائق ريتشموند. تحدث أليكس أثناء تناول الطعام بمواضيع عامة وكانت شارلوت تجيبه باقتضاب ولكن هذا أراح أعصابها مما مكنها من الاستمتاع بجزء من الوجبة، وشعرت أن هذا ما كان يهدف اليه. كانت الوجبة مؤلفة من اللحم والخضار وبعدها كعكة بالشوكولاتة، وابتسم أليكس لمّا رفضت شارلوت تناول الكعكة بينما أخذ قطعتين منها وأضاف اليها الكريما واعتذر بقوله:

«أنا ضعيف تجاه حلوى الشوكولاتة خاصة عندما أكون في لندن، حتى أن هنري الطباخ دائماً يصنعها من أجلي».

«أنا مستغربة أنه لا يوجد عندك متذوق للطعام».

فابتسم أليكس قائلاً:

«ربما سأتوصل الى ذلك. هل أنت حقودة كما يبدو عليك؟»

فتنهدت شارلوت بغضب وقالت مدافعة عن نفسها:

«حسناً، لديك محققون، وحراس خاصون. شيء رهيب، أنا مستغربة أنهم لا يعيشون في الشقة».

«ولكنهم يعيشون هنا، ويبقون في الطابق الأرضي، فلم أود أن أربكك».

ومسح فمه بالفوطة قائلاً:

«فكّرت أنه من الافضل أن نأخذ الأمور بهدوء».

وحملقت فيه شارلوت بغضب:

«بهدوء... بهدوء. هل تسمّي اجبار انسانة على الزواج منك، بهدوء؟»

«أقترح عليك أن تتقبّلي الموضوع وتحاولي التفكير بالمميزات».

«أية مميزات؟»

«سأخبرك عن ليدروس. انها جزيرة تبعد حوال خمسين ميلاً عن الجزيرة الأم وهي من الجزر المعروفة باسم مايكليدس. نحن محظوظون في ليدروس فهناك من المياه العذبة ما يكفينا ويمكننا من زرع الكثير مما نحتاجه».

وعقّبت شارلوت:

«هذا لا يهمني».

واكتفى أليكس بابتسامة متعجرفة، كم تمنت شارلوت لو صفعته نتيجة لها.

«ستهتمين! أؤكد لك ذلك، فأنت ستعيشين هناك في أقل من اسبوعين. أنا مسافر الى نيويورك غداً. سأغيب حوال عشرة أيام وسأعود في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر وسنتزوج في الخامس عشر».

وتوقف تنفسها وقالت:

«ولكن لماذا؟ ألا يوجد ما بامكاني قوله أو فعله ليجعلك تغيرّ رأيك؟»

وأجابها بقسوة:

«لا. عندك الخيار بين أن تتزوجيني وتنجبي طفلي وخلال سنة ستكونين حرّة، أو أن تنكري حقي بذلك وأنا لن أكون مسؤولاً عن النتائج».

«أنت، أنت وحش غير انساني».

«لماذا؟ لأني أطلب أن تنفذي اتفاقية أبوك؟»

«لا.لا. لأنه... حسناً، لأنك لست بحاجة لذلك».

وأحنت رأسها وقالت:

«أنت رجل جذاب وأنا متأكدة بأنك ستجد امرأة مناسبة».

«لماذا أتحمل عناء ذلك، وأنت عندي؟»

ومد يده ورفع ذقنها. فتهربت من لمسة تلك الأصابع القوية.

«لا تخافي، أيتها الصغيرة فأنا لن أزعجك كثيراً»

واحمرّ وجهها وهي تسأله:

«ولكن ماذا اذا لم يكن بامكاني؟ أو اذا لم يكن بامكاننا؟»

فأبعد يده وقال:

«كل شيء مرتب. بينما أكون أنا في نيويورك ستجرين بعض الفحوص للتأكد. وقد أجريت أنا هذه الفحوص».

«أتعني أنك تريد التأكد من أني...»

«نعم».

وأجابته بحنق:

«حسناً أتمنى أنه ليس بمقدوري».

وعادت الى وجهه ابتسامته التهكمية:

«لا تغريني بالتأكد بنفسي... اسمعي أنت كزوجة لي عندك حقوق في حين لو كنت

عشيقتي فليس لك أية حقوق على الاطلاق».

فشعرت شارلوت بخيبة الأمل مرددة باحتجاج:

«ولكن... ولكن لا أعرف عنك شيئاً».

«ماذا تريدين أن تعرفي؟ لم أرفض أن أجيب على أي من أسئلتك. وأضاف باختصار أنا في الأربعين من عمري وأظن أن هذا واضح لك. قتل أبي على يد بعض الارهابيين عندما كنت في الرابعة والعشرين وتوفيت والدتي بعد ذلك بقليل».

وأخفت شارلوت الصدمة من جراء سماع خبر موت أبيه على يد الارهابيين. والى تلك اللحظة كانت تبدو لها كل الاحتياطات التي يأخذها غير ضرورية وسخيفة ولكن فجأة بدت كلها ضرورية وشعرت بالخجل.

واستمرّ بهدوء:

«أنا انكليزي يوناني. جدتي أم والدي من ماسدونيا الشرقية، ما زالت حيه وتعيش معي في ليدروس».

ولم تتقبل ذلك بسهولة، فسألته:

«وهل ستستمر بالحياة معك؟»

«بعد زواجنا... لا تقلقي فانها لا تعيش في منزلي وانما تعيش في فيللا في الطرف الآخر من الجزيرة».

اقشعر جسم شارلوت لأن كل شيء بدأ يصبح واقعاً بالتدريج.

وسألته بصوت منخفض:

«هل هي جزيرة كبيرة؟»

«ليست كبيرة، لا، حوالى خمسة أميال طولاً وميلين عرضاً. انها جزيرة جميلة. لقد نشأت هناك وتعلمت السباحة والصيد أثناء طفولتي واكتشفت كهوفها وعلّمني والدي الابحار».

لم تكن ابتسامته تهكمية عندئذ واضاف:

«هناك أناس قلائل في الجزيرة: عائلة يانيس فيليبس وعائلة سانتوس، والسواح لا يزعجونا لان شواطئها صخرية ومن الصعوبة بمكان للبواخر أن تصل الى الشاطىء. الطقس حار وصاح وجميل جداً، والبحر دائماً ناعم ودافىء. وفي الليل لا تسمعين الا صوت الصراصير، وأحياناً، فقط أحياناً يهدأ هدوءاً غير مستحب».

وبينما كان اليكس يتحدث عن جزيرته، شعرت شارلوت بمدى حبه لأرضه ووطنه. لم يسبق لشارلوت أن ذهبت الى اليونان فهي لم تسافر أبعد من بريتاني في الصيف وسويسرا في الشتاء. رسمت في مخيلتها صورة جميلة لبيته وبدأت تسائل نفسها عن السباحة في مياه البحر الدافئة، وعندما وقف أليكس لاحظت عضلاته القوية وشعرت بالخوف لأنها تذكرت أن عليها أن تتقبل كل ما يختار هو أن يفعل بها، مقابل أن ترى وتجرب ما يحلو لها في هذه الجزيرة. عليها أن تتحمل كل ما يحلو له وأكثر من ذلك عليها أن تخوض تجربة الحمل لفترة تسعة أشهر حيث ينمو جسمها وينتفخ وعليها أن تخوض تجربة الولادة قبل أن تصبح حرة.

٣ ـ جزيرة ليدروس

استقلوا طائرة فولكنر الخاصة الفخمة الى أثينا. لم يسبق لشارلوت أن ركبت طائرة خاصة من قبل وكان الفرق شاسعاً بين أن يستقل المرء طائرة فاخرة وبين السفر بالدرجة السياحية.

كانت الطائرة مؤلفة من غرفة جلوس رئيسية وأرضها مغطاة بسجاد فاخر ومؤثثة بمقاعد وثيرة مريحة، ملحقة بحمام. وتليها غرفة نوم حيث أخبرها أليكس بأنه يخلد الى النوم أثناء رحلات الطيران الليلي. الأخوان سانتوس كانا يرافقانها في الرحلة وكذلك بالاضافة الى شخص آخر تعرفت اليه في اليوم الذي سبق الرحلة واسمه جورج كونستاندس، مساعد أليكس الخاص وهو رجل مسنّ في الستين من العمر وكان واضحاً أن أليكس يحترم رأيه الى درجة كبيرة ما كان هناك من طريقة لمعرفة رأي من حولها من الرجال. كانوا جميعهم مهذبين جداً ولم تظهر وجوههم أي شيء. ترقبت شارلوت بخوف نهاية الرحلة وكم تلمّست الخاتم الذهبي العريض الذي أعطاها اياه أليكس في مكتب تسجيل الزواج، حيث كانت تشعر بثقله في اصبعها مما دفعها للعبث به طوال الرحلة. كان ينتابها شعور غريب، شعرت باختلاف لا يصدق، بمجرد أنها أصبحت زوجته شعرت بتغيّر في شخصيتها.

كان بينهما بالطبع خلافات عملية، فأليكس لم يعجب بشعرها مربوطاً ولذا كان عليها أن تتركه مسدولاً على كتفها وكانت تشعر أنه طويل جداً وودّت لو تقصه قليلاً الآن بعدما تركت المدرسة وأصبحت مستقلة. ولكن أليكس كان صريحاً بما يتعلق بمظهرها.حتى أنه اختار لها ثيابها أو على الأقل أرسلها الى محل معين حيث اختاروا لها خزانة ثياب كاملة من المؤكد أنها كلفته الكثير من النقود،

ولكن كلّ ذلك بدا لها غير ضروري، فلو تحقّقت مخططاته فلن تستطيع ارتداء تلك الثياب خلال أشهر قليلة. ولكنه كان هو صاحب القرار وهي بطبيعتها كأنثى سرّها اقتناء الاشياء الجميلة.

السيدة لورنس وهي صاحبة المخزن الذي عملت فيه شارلوت استغربت الأمر وخاصة عندما علمت من هو العريس. في الواقع أن القليل من الناس يمكنهم تمييز أليكس لو شاهدوه في الشارع ولكن كل انسان سمع بفولكنر انترناشيونال. وكان تعليق السيدة لورنس أن شارلوت محظوظة. فالسيدة لورنس كانت أرملة وصارعت في حياتها لتربي ابنتيها ولذا فهي تغبط كل انسان في بحبوحة. كل من سمع بزواج شارلوت اعتبرها محظوظة إلا لورا وكان ذلك بسبب حضورها اللقاء الأول وبالتالي فلم تستطع أن تقنعها شارلوت بصحة ما تفعله.

ورتبت شارلوت بقاء لورا في البيت لتهتم به وهذا مما زاد في شكوكها، فليس من الضروري الاحتفاظ بمثل هذا السكن الغالي في حين أنها تعيش آلاف الاميال بعيدة عنه، وخاصة أن أليكس يملك شقة فاخرة في لندن. حاولت شارلوت أن تبرر احتفاظها بالبيت لأسباب عاطفية وكان على لورا أن تتقبل ذلك في حين أنها في الحقيقة تركته كملجأ لها عندما تصبح الأمور مستحيلة، فبامكانها أن تسترق بضعة أيام من الحرية.

حطّت طائرتهم في أثينا ذلك المساء حيث كانت السماء صافية والشمس ما زالت مشرقة. ازعاج الهبوط كان عذراً لها في تبرير شحوبها. وتساءلت فيما لو عرف الرجال المرافقون لزوجها عن سبب وجودها؟ هل أخبرهم يا ترى بحقيقة القصة؟ ألم يستغربوا زواج مستخدمهم المفاجيء؟ أو أنها الطريقة المعتادة هنا؟ سمعت أن النساء في اليونان ليس لهن الحق نفسه كما في انكلترا ولكن هل هذه هي طريقة المعاملة؟

توقفت الطائرة وحلّ أليكس حزام الامان وتقدم من شارلوت، وتساءلت بوجل ان كان سيخبرها بأنهم سيتوقفون لقضاء تلك الليلة هنا، لأن فكرة قضاء أول ليلة معه في الفندق أفزعتها أكثر من بيته. الفنادق أماكن كبيرة مليئة بالاغراب. كيف ستواجه أي انسان بعد...بعد...؟ وبدا القلق واضحاً على وجهها وقال لها أليكس بتشوق:

«أكملنا الجزء الأول من الرحلة والجزء الثاني سيكون بالهيليكوبتر.»

وارتجفت شفتا شارلوت وهمست:
«وماذا أنا؟ المرحلة الثالثة؟»
فأجابها بهدوء قبل أن يستدير مبتعداً:
«سأعلمك بذلك.»
فاحمر وجهها وحلّت حزام الأمان. أهكذا ستكون طريقة التعامل بينهما دائماً؟ معركة كلامية مستمرة؟ قلما حادثته بطريقة مهذبة ولكن كيف يمكنها ذلك؟ في هذه الحالة؟ وكيف يمكنها أن تسمح له أن يفكر ولو للحظة أنها مقتنعة بأي شيء.
كان الطقس خارج الطائرة دافئاً. سارت شارلوت خلف زوجها وقد أمسكت بحقيبة يدها وحقيبة الماكياج بعصبية في حين أنه تقدمها برفقة جورج كونستاندس.
لاحظت أن أليكس كان يعرف معظم موظفي المطار ولذلك كانت معاملات المطار سهلة. ولمّا قدّمها على أنها زوجته اتجهت اليها الانظار باعجاب وبالتالي شعرت بالارتياح لانها ترتدي بزة بيج شاموا أنيقة للسفر. ليس من اللائق أن يرى الناس زوجة شخص كأليكس فولكنر مرتدية بنطلون الجينز ولو أنها كانت ترتاح لمثل هذه الثياب. ولأول مرة جلست على انفراد مع زوجها في المقعد الخلفي للسيارة الليموزين السوداء التي كان يقودها سائق مختلف عن الأول، وجلس جورج كونستاندس بجانب السائق في حين أنه فصل بين المقعدين الخلفي والأمامي زجاج، ولاحظت شارلوت أن الأخوين سانتوس لم يحضرا برفقتهم وفي محاولة للخروج من الصمت سألت أليكس:
«ماذا...ماذا عن الآخرين؟»
استدار أليكس الذي كان يحدق في الزجاج وقال:
« فيتوريو وديمتريوس؟ سيلحقا بنا في البحر مع الامتعة. انها رحلة قصيرة.»
وعبثت شارلوت بحقيبة المكياج مرددة:
«أه، فهمت الآن.»
وأكد لها أليكس بجفاء:
«لا تقلقي فسيجلبا لك اغراضك قبل وقت النوم، اذا كان هذا ما يشغل تفكيرك.»
أشعرها هذا الكلام بالضيق لأنه كان هذا ما يجول في خاطرها. فاجابته باختصار ودارت وجهها تتطلع الى الطريق:
«سؤالي مجرد حب استطلاع.»

ولما لمست يده ركبتها بالخطأ ارتعدت مبتعدة مما دفعه ليقول:

« شارلوت ليس هناك أي دافع لتكوني خائفة مني.»

«أنا لست خائفة منك.»

«يا إلهي...لا داعي للكذب أيضاً، لأن ذلك لن يسهل عليك الموضوع.»

«عماذا تتكلم؟»

«أنت تعرفين تماماً عماذا أتكلم، ويجب أن تعرفي أنك زوجتي الآن. وهذا واقع لا يمكن نكرانه. وبما أني لن ألغي هذا الزواج أو شيء من هذا القبيل فمن الأفضل أن تتصرفي كانسانة طبيعية. هذا الخوف لمجرّد لمسك والرعب في عينك لتحسبك من أننا قد نقضي الليل في أثينا، قلقك بشأن وصول ثيابك في الوقت المناسب. يا إلهي، ماذا تظنيني؟ وحش؟»

«ماذا تريدني أن أفعل؟ أرحب بفكرة كونك زوجي؟ أطير من الفرح لفكرة أني سأحمل طفلك؟ أنا أكرهك أليكس فولكنر وأرفض أن أسهّل الأمر عليك.»

وغاص في مقعده وهو يقول:

«تسهّلينه عليّ. يا إلهي، كما تريدين يا شارلوت، افعلي ما تشائين ولكن تحملي العواقب.»

شعرت شارلوت بالندم وقالت:

«أنا...ماذا تعني؟»

«تريدين أن يبقى كل شيء في حيز العمل والعقد ـ لا مانع عندي»

حبست شارلوت أنفاسها وقالت:

«أنا...لا أظن أني قلت ذلك.»

حرّك رأسه على المسند وقال لها محدقاً بها:

«لا يمكن أن تسير كل الأمور كما تريدين. اما أن نتظاهر ونسهّل الأمور أو أن نحافظ على بنود العقد. وفي الحالتين، الأمر سيّان عندي.»

«ماذا تعني بالتظاهر؟»

ضاقت عيناه وهو يسألها:

«والآن ماذا تظنين أني عنيت؟»

شعرت شارلوت باختناق وجهها...

«آه... لا... كيف تجرؤ على اقتراح مثل هذا؟!»

هز كتفيه وهو ينظر الى الامام:

«كنت افكر بك فقط صدقيني. ولكن اذا كانت تلك الطريقة لا تعجبك فعلى

الأقل تصرفي بشكل مهذب أمام الناس وهذا ما أصرّ عليه، هل تفهميني؟»

لم تجبه شارلوت... للمرة الاولى تركب شارلوت طائرة هيليكوبتر ولو انها في غير هذه الظروف لكانت رحلة ممتعة فوق عشرات الجزر الجميلة. ولدهشة شارلوت قاد أليكس الهيليكوبتر بنفسه وجلست هي بينه وبين جورج كونستاندس. ولما كانت الحرارة مرتفعة في الهيليكوبتر، حلّ أليكس أزرار قميصه العلوية وفكّ ربطة عنقه وكان يتصبب عرقاً.

كانت شارلوت تشم رائحة جسمه الحار فأشاحت بوجهها عنه لعدم رغبتها بالشعور بوجوده أكثر. كانت مؤخرة عنقها مبتلة من العرق، وكم كانت تتوق الى حمام وتغيير ثيابها التي بدت ثقيلة على طقس تلك البلاد. ولكن قبل أن تصل حقيبة ثيابها ليس بمقدورها إلاّ أن تتقبل ما ترتدي. وعندها أدركت أن كل الثياب التي اشترتها بناء على توصيات أليكس والتي وجدتها غير ضرورية في لندن بدأت تجدها ضرورية.

ولما كان هناك فقط سماعتي رأس، عرض عليها جورج السماعة الثانية ولكنها رفضت لأنها كانت على يقين بأنه قد يجد ما يحدّث به أليكس أكثر مما تجد هي للحديث معه.

وبعد نصف ساعة من الاقلاع بدأت الطائرة بالهبوط فوق جزيرة تقع على حافة سلسلة من الجزر على شكل هلال. تكوين ساحل الجزيرة جعلها تفهم كيف أنه من الصعب أن تقترب أي باخرة من الجزيرة، الا اذا كان زورقاً بخارياً يقوده شخص يعرف القنوات الصخرية والتيارات. واقتربت الطائرة المروحية على ارتفاع منخفض من الخليج وبدا واضحاً لشارلوت الشاطىء الرملي الأبيض.

وبدا البيت تحت المنحدرات المغطاة بالاعشاب. لا بد أن يكون هذا منزل أليكس لأنه أكبر من كل البيوت الصغيرة التي أحاطت به في هذا الجانب من الجزيرة وبدا جميلاً بممراته الطويلة. كان هناك الكثير من أشجار التوت والسرو والزيتون تحيط بالبيت وتمتد حقول الليمون بعدها برائحتها المميزة.

حطت الطائرة فوق مرج عريض خلف المنزل، ولدى سماع صوتها خرج العاملون لدى أليكس للترحيب...ثلاثة نسوة يلبسن المراويل البيضاء ورجل يلبس زيّاً أسود، وقفوا جميعهم يحاولون تغطية عيونهم من وهج الشمس وشعرت شارلوت بتشنج في أعصابها.

توقفت مراوح الطائرة ونزع أليكس سماعات الرأس وحلّ حزامه وفتح

الباب وهبط ثم مدّ يده لمساعدة شارلوت على الهبوط وتقبلت مساعدته مجبرة وأعطته يدها.

كان الطقس معتدلاً هنا أكثر مع نسمة خفيفة مقبلة من البحر. أعجبت شارلوت بما حولها وما بدا لها أنه أجمل ما رأته في حياتها.

وتوجّه أليكس الى مجموعة الناس الذين وقفوا على الشرفة بجانب الأعمدة الحجرية ونظر خلفه باتجاه شارلوت مما جعلها تسرع في سيرها. اثنتان من النسوة كانتا في مقتبل العمر والثالثة متقدمة في السن بينما كان الرجل في منتصف العمر. ورحبّوا بأليكس بحرارة وصافحوه وهم يتكلمون معه باليونانية وشعرت شارلوت بالارتباك مرة ثانية عندما راحوا يرمقونها بنظراتهم.

وأمسك أليكس بيد شارلوت دافعاً بها الى أمام وهو يقول:

«أريدك أن تقابلي موظفينا هنا في فيللا ليدروس.»

ولدهشتها توجّه الى الرجل أولاً وقال:

«هذا خريستوف الطباخ.»

وانحنى الرجل ومن ثم استدار أليكس الى النسوة، المتقدمات في السن اولاً

«هذه ماريا و صوفيا و تينا.»

انحنت الفتاتان محييتين. ونظرت شارلوت الى أليكس ولكنه لم يكن ينظر باتجاهها ثم قالت للموظفات:

«كيف حالكم؟»

وضحكت الفتاتان. ورمقتهم ماريا التي يبدو أنها مدبرة البيت. ثم مدّت يدها لشارلوت ورحّبت بها بحرارة وأدب باليونانية.

ونظرت الى أليكس مرة ثانية ونظر اليها هذه المرة وقال:

« ماريا تطلب منك أن تدخلي البيت، ادخلي معها فأنا يجب أن أتكلم مع كونستاندس قبل أن يذهب».

«هل هو ذاهب؟»

وعلّق أليكس بقوله:

«من المفروض أن هذا هو شهر عسل بالنسبة إلينا».

ثم أومأ برأسه قائلاً:

«اذهبي مع ماريا. فهي تتكلم الأنكليزية بعض الشيء. كلهم يتكلمون الأنكليزية فقد علمتهم بنفسي.»

وتبعت شارلوت المرأة العجوز ببعض العصبية الى البيت. وكانت برودة

الجو داخل المنزل واضحة وأدركت شارلوت أن البرودة كانت نتيجة لمكيفات الهواء. القاعة الحجرية ممتدة على طول مقدمة البيت، ويدخل المرء من القاعة عبر أبواب ذات أقواس الى الغرف حيث الجدران البيضاء يسطع لونها بفعل ألوان السجاد اليدوي بمختلف الرسوم.وكانت معظم الكراسي من جلد الغنم والماعز وكانت شارلوت تستطيع مشاهدة المنحدرات وانحناءات الخليج من الشرفة وعبر الأبواب المفتوحة كانت تتناهى الى مسمعها وشوشة البحر عندما تتكسر أمواجه على الصخور. أما الشاطىء الذي رأته شارلوت من الجو كان مختفياً تحت المنحدرات، ولكنها كانت متأكدة من وجود ممر لها. ومن القاعة يصعد المرء بضعة درجات تؤدي الى حيث المائدة المستديرة مع الكراسي وحيث غرفة الطعام. وبالرغم من أن كل المفروشات التي شاهدتها شارلوت حتى الآن اتسمت بالبساطة والعملية ولكن لها نوعية خاصة طغت عليها الأناقة وفي أي حال فكل ما شاهدته في هذه الفيللا الى الآن فاق تصورها.

لم تقل ماريا الكثير وكل ما قالته كان إما الاشارة الى احدى السجادات أو الأواني مما يدل على أنها فخورة بما حولها. وبعد غرفة الطعام كانت هناك قاعة ممتدة الى الجناح الغربي من المنزل. وكانت الأبواب مغلقة لكن ماريا تقدمتها بكل ثقة وفتحت باباً آخر حيث غرفة النوم الرئيسية. كانت الغرفة كبيرة جداً وفي وسطها سرير كبير بعرض مترين وأطول من المعتاد وكل الأثاث كان من النوعية نفسها ـ خزانة كبيرة جداً، وطاولة زينة بقواعد محفورة. نوافذ طويلة خشبية والسجاد أبيض متناسب مع أغطية السرير الحريرية الناعمة.

وسألتها ماريا بخجل:

«هل أعجبتك؟»

ولم تستطع شارلوت نكران ذلك فقد كانت أجمل غرفة توقعت أن تنام فيها.

ووضعت حقيبتها وحقيبة الماكياج وتمشت في الغرفة وقالت:

«شكراً ماريا انها جميلة جداً.»

كان هناك آنية مليئة بأزهار الليلك على الطاولة بجانب السرير وتلمّست شارلوت أوراقها برقة. وعبرت ماريا الغرفة لتفتح بابين اضافيين احدهما يؤدي الى الحمام الخاص والثاني الى غرفة الثياب وأشارت بسرور الى انه عندما تصل الحقائب ستقوم صوفيا بافراغها.

وتطلعت شارلوت الى غرفة ارتداء الثياب التي كانت بحجم غرفة نومها في بيتها في لندن قائلة:

«بامكاني أن أفرغها بنفسي».

كان هناك سرير في غرفة ارتداء الثياب وتساءلت شارلوت عن سبب وجوده.

وهنا قاطعها أليكس بصوته الرجولي غير المتوقع:

« صوفيا ستفرغ حقائبك، وهل لك أن تحضري لنا القهوة يا ماريا؟ أنا على يقين أن زوجتي متعبة من الرحلة».

وتراجعت شارلوت في الغرفة وابتسمت ماريا وخرجت وأغلق أليكس الباب خلفها. وبادرها:

«حسناً...اذاً أعجبك بيتي».

لم يكن ممكناً لها نكران ذلك فأومأت شارلوت برأسها، وبالرغم من الشعور بالخوف الذي انتابها لدى تفكيرها بالمواضيع الاخرى، قالت:

«اظن أن كل انسان يحلم بتملك بيت كهذا وما من أحد يمكنه تنظيفه بطريقة أفضل.»

«حقاً.»

ولدهشتها جلس بتكاسل على طرف السرير. وخلع سترته وربطة عنقه وألقى بهما باهمال جانباً وتمدد على السرير واضعاً يديه فوق رأسه. وبعدها لاحظ أن شارلوت تراقب حركاته بقلق فتحولت نظراته الى سخرية وقال:

«لا تستعجلي الأمور ليس الآن، ليس عندما يكون من المحتمل دخول ماريا في أي لحظة، فأنا لا أحب أن أصدمها.»

فحدقت شارلوت به بغضب وقالت:

«آوه أنت...أنت...سأدخل لأستحم.»

فعلق على كلامها وقد أغلق عينيه:

«لا يوجد قفل على باب الحمام، ولكن لا تقلقي فلن أدخل.»

فأخذت حقيبة ماكياجها بعصبية واتجهت الى الحمام ثم ترددت قائلة:

«أنت لن تدخل ، أليس كذلك؟»

فتح أليكس عينيه بضيق وقال:

«الحقيقة ـ اني لن أدخل، هذه المرة.»

شعرت بالارتياح عندما وقفت تحت الدوش ومما زاد في شعورها بالانتعاش وجود جميع أنواع الصابون والشامبو والبودرة. واستعملت بعضها بحذر محاولة عدم اختيار الروائح المغرية. وسمعت صوتاً من غرفة النوم وطرقة خفيفة على

باب الحمام، فقفز قلبها وقالت:

«ماذا؟ ماذا تريد؟»

وجاءها صوته هادئاً:

«وصلت القهوة وخطر لي أن أخبرك بذلك.»

«آه شكراً، سأنتهي حالاً».

وأجابها أليكس بعدم اهتمام:

«ابقي كما تشاءين، فأنا ذاهب لشيء مسل أكثر.»

فقطبت شارلوت متسائلة: ماذا يعني بذلك؟ الى أين ذاهب؟

وقبل أن تفتح فمها لتتكلم سمعت صوت باب غرفة النوم وعرفت أنه خرج وما من فائدة للكلام.

وعندما خرجت من الحمام وارتدت الثياب التي كانت ترتديها من قبل. كانت القهوة قد بردت ولكنها ما زالت منعشة بنكهتها التركية القوية. وهذا ما كانت تحتاج اليه. وبالرغم من أن ماريا وضعت بعض الحلويات مع القهوة، لكن شارلوت لم تلمسها.

وبينما أفرغت حقيبة الماكياج كانت الشمس بدأت بالغروب فاتجهت الى النافذة ونظرت الى الحديقة العابقة برائحة الازهار التي تتفتح عادة في الليل، وسمعت صوت البحر.

ولاحظت شارلوت الكثير من الحشرات تتجه الى الضوء في الفيللا وتراجعت الى الوراء عندما رأت فراشة ذات أجنحة ملوّنة وأغلقت النوافذ، مما سبب انحباس التنفس في الغرفة، فنظرت حولها بقلق وحاولت تحريك الازرار الكهربائية قرب الباب ولم تضيء الغرفة وانما سمعت صوتاً خفيفاً أدركت أنه صوت المكيف الكهربائي. واشعلت الضوء بجانب السرير مما شكّل خيالات في الغرفة، ولما بدأت الحشرات تلتطم بزجاج النوافذ وتتساقط شعرت بالضيق وأغلقتها. ونظرت شارلوت الى الساعة وكانت تشير الى الثامنة وأدركت أنها لم تتناول أي طعام منذ الصباح. وشعرت بالزوغان. ولما سمعت طرقاً على الباب، لم تدع الطارق الى الدخول وانما ذهبت بنفسها وفتحت الباب، وكانت احدى الفتيات ممن قابلتهن وتدعى تينا أو صوفيا، لم تكن متأكدة. وقالت الفتاة بأدب:

«سيدتي، أتيت لآخذ الصينية، والسيد أليكس يطلب منك أن تلحقي به في الصالون.»

وأدركت شارلوت أنها ما زالت مراقبة فقالت:

«شكراً، أرجو لو تريني أين الصالون؟»

وأومأت الفتاة وقالت:

«اذا ذهبت الى القاعة ستجدينه بسهولة.»

ودخلت الفتاة لتأخذ الصينية ولم يبد عليها أنها ودودة كماريا.

وبعدما ذهبت الفتاة تفحصت شارلوت ثيابها واكتفت بماكياج خفيف للعين وأحمر للشفاه.

ذلك انها غير معتادة على كثرة الماكياج بالاضافة الى أنه في هذا الطقس الحار كثرة الماكياج مزعجة.

سارت شارلوت في الدهليز المضاء حتى القاعة حيث غرفة الطعام مجهزة وأعجبت بغطاء الطاولة والفوط المطرزة الناعمة والكؤوس الكريستال والمعالق والشوك الفضية. شعرت شارلوت بالجوع عندما اشتمت رائحة الطعام ولدهشتها دخل أليكس وقد بدلَ بذلته وارتدى بنطلوناً حريرياً بيج وقميصاً حريرياً كحليّ اللون وترك أزرار قميصه العلوية مفتوحة مما أظهر لون جسمه البرونزي وكشف عن ميدالية ذهبية معلقة على صدره بسلسال ذهبي.

فأجاب دهشتها قائلاً:

«لا تنسي، أنا في بيتي.»

فهزّت شارلوت رأسها وهي تشعر بالخجل للأصوات التي تصدرها معدتها وقالت:

«لم أدرك أنك بدّلت ثيابك.»

وأشار لها ان تتقدمه بالدخول الى غرفة الجلوس وهمس قائلاً:

«الغرفة التي خصصت لك لم تكن غرفتي يوماً من الأيام فأنا أنام في غرفة أقل أناقة وفخامة.»

ورفعت شارلوت نظرها تحدّق فيه وبدأ قلبها يخفق لنظراته، ثم ابتعد عنها مما سمح لها بتمالك نفسها، وأحضر عصير البرتقال لكليهما.

وسألته شارلوت:

«أتظن أن حقائبي ستتأخر؟»

«لا أظن ذلك، من المتوقع أن يصل فيتوريوس وديمتريوس بعد العشاء. أنا آسف أنك لم تتمكني من تبديل ثيابك ولكن عندك الوقت الكافي لارتداء ما اختارته فيرنا لك».

وبدأت شرب العصير بعصبية، وأشار أليكس الى الأريكة بجانبها وقال:

«أجلسي.»

وفي الواقع شعرت بفقدان توازنها وضعف ساقيها فجلست على الأريكة.

واتخذ أليكس مقعداً بجانب شجرة الياسمين، وبدا لها واضحاً تحدره من سلالة مختلطة. في تلك الليلة بالذات مع تلك الاضاءة وتناقض لونه البرونزي مع لون الجدران البيضاء.

وسألها:

«هل استمتعت بالحمام.»

وركّزت تفكيرها على العصير في يدها وقالت:

«نعم. شكراً لسؤالك وعلى فكرة فقد استعملت بعض الشامبو أرجو ألا يزعجك ذلك.»

«استعملي ما تشائين، هذا بيتك.»

«بيتي.»

ردّدت كلماته بمرارة ولكنه تجاهلها وقال:

«اذهبي أينما تريدين وتصرفي في هذا المكان كما تجدين مناسباً، ولكن اذا كنت معتادة على الخروج الى المسارح والنوادي الليلية فما من شك أنك ستجدين هذا المكان مملاً. ولكن عندي مكتبة واسعة جداً وقد طلب لك جورج آخر أفضل الكتب من جميع أنحاء العالم حتى اذا كنت تستمتعين بالمطالعة فستجدين ما تقرأينه من الكتب، وعدا ذلك فأثناء النهار عندك سباحة وابحار والمشي اذا أردت وطبعاً الشمس».

ونظرت اليه شارلوت وهي تستمع الى كلماته وفكّرت: هذا هو نوع الحياة التي كانت تستمتع به لو أنها تحيا مع الانسان الذي تحبه، ولكن هنا مهما فعلت، ما من شيء سينسيها السبب الأساسي لوجودها...ثم أتت ماريا معلنة أن الطعام جاهز، فتوجها الى المائدة وجلسا مواجهة. كانت تلك أول مرة تتذوق فيها شارلوت الطعام اليوناني، كانت رائحته مثيرة للشهية بشكل أنساها ما يدور في ذهنها وتناولت من البندورة والسمك كمقبلات وبعدها الكباب الممدود على ورق العريش. كان الطعام أدسم مما تعودت ولكنه كان شهياً. وبعد الطعام قدموا لها الجبن والفواكه. واختارت شارلوت الدراق. ولمّا تذكّرت الليل ارتبكت ودلقت القهوة في الصحن، ولاحظت أن أليكس يراقب حركاتها بعصبية.

ووصل الزورق البخاري بينما كانا يتناولان القهوة واعتذر منها أليكس ليذهب لمحادثة الرجال. ثم حضرت الفتاة الثانية التي شاهدتها من قبل تحمل حقائب شارلوت. ولمّا حاولت النهوض لتأخذ حقائبها، أشارت لها الفتاة برأسها نفياً.

وقالت الفتاة بتودد أكثر من صاحبتها التي تكلّمت مع شارلوت قبل العشاء:

«معي المفاتيح وسأفرغ لك الحقائب.»

وبقيت شارلوت لوحدها لمدة نصف ساعة تقريباً قبل أن يعود أليكس. وحين عاد كانت قد أنهت طعامها وانتقلت الى غرفة الجلوس. لم تستطع القعود بل أخذت تتمشى بقلق وهي تفكر بمختلف الأمور.

بدت الغرفة جميلة ككل الغرف التي شاهدتها بأثاثها المغطى بجلد الماعز الناعم والوسائد الجميلة المزخرفة وخزانة الحائط المليئة بالتحف الخشبية التي بدت غريبة في هذا المكان ومع ذلك كانت جميلة. وقد أخفت شجرة الياسمين مكبرات صوتية لاحدى الاجهزة الموسيقية. وتساءلت أي نوع من الموسيقى يفضل أليكس. وعندما عاد وجدها واقفة بجانب الياسمينة. وبالرغم من أن حذاءه لم يسبب أي صوت لدى دخوله شعرت بوجوده واستدارت فاعتذر عن تأخره وقد استند الى الباب وهو يتطلع اليها. وقال:

«أفرغت لك صوفيا حقائبك ويمكنك الذهاب الى النوم متى شئت».

وضاقت شفتاه عندما لاحظ قلقها:

«ماذا تفعلين؟ هل تفكرين بتناول الحبوب المنومة لتواجهي المحنة؟»

«أنا.. لا»

ونازعت بسؤاله بطريقة مضحكة:

«لاحظت أنك تحب الموسيقى، أي أنواع الموسيقى تفضل؟»

وحدّق فيها أليكس واعتدل في وقفته وهزّ رأسه وقال لها بخشونة:

«هل تصدقين اذا قلت لك الموسيقى الكلاسيكية؟ اذهبي الى سريرك شارلوت قبل أن أخرج عن طوري وأعطيك سبباً حقيقياً لتحدقي بي هكذا؟»

فتسمّرت شارلوت لبضع ثوان وهي تقاوم رغبتها بالهرب من هذا المكان وشعرت بالضغط وخرجت متوجهة الى غرفتها باكية.

واستغرقت في بكاء لا ارادي حتى شعرت بالإرهاق. ثم أخذت تحدق في

الفراغ، وفجأة لاحظت أن الخزانة امتلأت بثيابها، بينها احدى قمصان النوم كانت ملقاة على سريرها بعناية وغطاء السرير مكشوف في ترتيب. خلعت ثيابها وهي متنبهة الى كل حركة خارج الغرفة، ونظّفت أسنانها وارتدت ثوب النوم ولحسن الحظ لم يكن شفافاً. ومشّطت شعرها واستلقت على السرير الواسع.

وترددت قبل أن تطفىء النور. لكنها قرّرت أخيراً انها لا تود رؤيته وهو يدخل الغرفة.

لو أغمضت عينيها ربما يظنها نائمة ومن المحتمل أن يتركها تنام.

واستغربت أن بيجامته لم تكن موضوعة على السرير مع أنه امر طبيعي أن يفترض الجميع أنه سينام معها.

وأغلقت عينيها مرهقة ولما استيقظت كانت الشمس مشرقة عبر الستائر الحريرية الخضراء.

٤ ـ رحلة الشاطىء

استحمت شارلوت وارتدت بنطلوناً قطنياً أبيض وبلوزة بدون أكمام. ثم أحضرت تينا لها طعام الافطار وحيتها بالأدب المعهود، وانتبهت الفتاة الى أغطية السرير التي تكاد تكون غير ملموسة وشعرت شارلوت بأنه ما من دقائق وسيعلم كل من في الفيللا أن زوجها لم يقض الليلة معها.

أخذت شارلوت الصينية وصرفت الفتاة لنظرة المعرفة التي بدت في عينيها ووضعت الصينية على الطاولة بجانب السرير. وتفحصت طعام الافطار الذي تألف من الفطائر الساخنة والبيض والعسل وبالرغم من اضطراب معْدتها استمتعت بما تناولته من طعام. وحاولت ألا تفكّر منذ استيقاظها بسبب عدم مجيء أليكس الى غرفتها الليلة السابقة. ولكن الآن وبعد أن انتهى طعام الافطار وبدا أمامها اليوم طويلاً لم يعد بامكانها انكار حب الفضول. وفتحت النوافذ، حيث كان الصباح جميلاً والنسيم منعشاً، ومع ذلك فالغشاوة التي ظهرت في الافق كانت تنبيء بيوم حار. كانت السماء زرقاء باهتة مائلة الى اللون الليلكي، وقد اتصلت بالبحر والمياه التي بدت خضراء في الخليج كانت مشجعة للسباحة، وشاهدت احد الزوارق يشبه ذلك الذي لاقى فيه أبوها حتفه فشعرت بغصة في حلقها، يجب ألا تنسى المأساة أو الدور الذي لعبه زوجها فيها.

ابتعدت عن النوافذ فلا بد أن زوجها جالس في ذلك الزورق، وقررت أن تخرج في جولة استكشافية. وترددت في أن تخرج الصينية معها، ولكنها قررت أن تتركها حتى لا تنبّه ماريا والعاملين في الفيللا لتحركاتها.

خرجت من غرفتها الى القاعة حيث كانت الابواب مفتوحة على مصراعيها ذلك الصباح، ومن الشرفة كان هناك الممر الذي يؤدي الى المنحدرات. شعرت

برغبة في الهرب، ولكن الى أين؟ وخرجت من الفيللا وتمشت على حافة الوادي وقدّرت أنه من الممكن الهبوط على الصخور الى الخليج ولكنها لم ترغب في مغامرات طفولية فتوقفت تبحث عن الممر الذي وجدته الى يمينها بين الصخور بحيث أنه يمنع الانزلاق بشكل طبيعي.

كان الزورق قد ابتعد عن الخليج وتساءلت بقلق لا ارادي عما يفعل أليكس وفيما لو كان يحاول عبور القنوات. ثم أبعدت عنها تلك الأفكار فليس من شأنها ما يفعله. أو اذا تعرّض للخطر أم لا؟ فهو لا يعني لها شيئاً، تماماً كما أنها لا تعني له شيئاً. وبدأت النزول بحذر وهي تراقب اليخت، فلذا قرر أليكس الرجوع بسرعة فسيكون عندها الوقت الكافي للعودة الى المنزل قبل أن يصل.

ولما وصلت الى الشاطىء الرملي، تطلعت خلفها الى المنحدر المليء بالكهوف وبعضها توارى تحت الماء حيث يتحوّل الشاطىء الى صخري. ولاحظت بيتاً عائماً على أعمدة في الطرف الآخر من الشاطىء. ومن الشاطىء يمكن رؤية لسان مائي آخر، حيث تجمعت الأكواخ في الرأس الآخر للخليج، تلمع تحت أشعة الشمس وتشكل قرية صغيرة. هناك القليل من الزوارق راسية بين الصخور، وبعض الاولاد يلعبون في الماء ولكن ما من مجال للوصول الى الخليج الثاني إلاّ بتسلق المنحدر الصخري والسير لتصل الى الجهة المقابلة.

خلعت شارلوت صندلها وسارت في الماء والامواج الخفيفة وحبات الرمل تدغدغ أصابعها. وانحنت لترفع بنطلونها وقفزت من المفاجأة عندما سمعت صوت أليكس خلفها يقول:

«صباح الخير يا شارلوت».

واستدارت فجأة لتجده يقف خلفها على بعد خطوات. كان يرتدي بنطلوناً قصيراً يكشف ساقيه الطويلتين وكان صدره عارياً. لم يسبق لها أن شاهدته بدون ثياب حيث تبدو عضلاته قوية وذقنه داكنة بعد أن نما الشعر اثناء الليل بعض الشيء. شعرت شارلوت بتقلص في معدتها. ونظرت الى اليخت الذي ما زال بعيداً فبادرها بقوله:

«أنا آسف لخيبة أملك، ولكن هذا ديميتريوس فهو يحب البحر أيضاً».

وحاولت البحث عن صندلها لتتلهى بفعل أي شيء.

وقالت:

«ما من حاجة للتجسس عليّ، فأنا... أنا كنت أتمشى فقط».
«وأنا كنت أنظف الزورق».
ومدّ يده ليريها الشحم. وشعرت شارلوت بالخجل. وسألها:
«هل نمت جيداً؟»
وشعرت باحمرار وجهها:
«أنا... نعم، شكراً».
«لا بأس فأنت تبدين أقل تعباً هذا الصباح».
ومسحت شارلوت الرمل عن أصابعها.
«أنت... يعني... أنت لم...»
وأنهى هو لها الجملة قائلاً:
«لم آت الى السرير؟ لا. على الأقل ليس لسريرك».
ونظرت اليه بقلق، فلربما قد غير رأيه، وشعرت بنوع من الارتياح وسألته:
«أنا... لماذا لا؟»
وكان ينظر اليها بتهكم.
«لماذا، أنت تظنين؟»
وتابع قائلاً بجدية:
«قلت لك يا شارلوت أني لست وحشاً. وأدرك تماماً أنك بحاجة الى وقت ليهدأ اضطرابك فتتعودين الموقف وبالاحرى تعتادين عليّ».
«كم... كم من الوقت؟»
«فليستغرق الموضوع ما يستغرق، هل لك أن تهدأي وتتوقفي عن التصرّف بهذا الشكل وكأني سأقفز عليك الآن».
ارتعشت شارلوت وقالت:
«وهل يعتبر هذا نوع من الاعتذار؟»
وأجابها بعصبية:
«اعتذار؟ انه ليس اعتذاراً. انه وقف تنفيذ، ليس أكثر من ذلك».
واستـــــدار بعصبية وتركها متجهاً الى البيت العائم.
لم تعد تشعر شارلوت بأي رغبة في البقاء على الشاطىء وعادت تتسلق الصخور ووصلت الى الفيللا منهكة من الحرّ والتعب. وقابلت ماريا في القاعة، حيث بدت الدهشة على ماريا لمنظر البنطلون القذر والوجنتين

المحمرتين.

وسألتها:

«هل هناك ما أزعجك؟»

وهزّت رأسها بالنفي:

«أنا بخير، لأنني نزلت الى الشاطىء، هذا كل شيء».

وبادرتها ماريا:

«كنت تبحثين عن السيد أليكس؟»

وأجابتها بحدة:

«لا لم أكن أبحث عنه. وأعذريني الآن يجب أن أغتسل»

وقضت بقية فترة الصباح في غرفتها رافضة الاعتراف أنها هزمت هذا الصباح. وفي أي حال أليكس لم يكن في الفيللا، وكان بامكانها أن تأخذ حماماً شمسياً في الشرفة أو أن تتمشى بين أشجار الزيتون في الحديقة ولكنها فضّلت البقاء بعيدة عن الجميع. عندما عادت وجدت سريرها مرتباً، وخلعت صندلها باهمال واستلقت على السرير وهي تحدّق في السقف. كانت أفكارها مشوشة بعد ما قاله أليكس، وبالرغم من أنها شعرت بالارتياح لما سمّاه بوقف التنفيذ، لكن هناك شعور رهيب ينتابها بعدم الأمان. كم من الوقت يتوقع منها أن تبقى هنا وهي تشعر بأنها ولا محال مقدمة على مصيبة؟

وبالرغم من أفكارها المشوشة لا بدّ أنها استغرقت في النوم قرابة الظهيرة واستيقظت لشعورها بأنها ليست وحدها في الغرفة فنظرت الى الباب ولم تجد أحداً ولكن الخيال جذب نظرها الى النافذة فشاهدت أليكس يقف قرب النافذة يحدّق في الأفق. كان مستديراً باتجاهها وقد ارتدى بنطلون جينز وقميصاً قطنياً مما خفف من ظهور رجولته الصارخة. رفعت شارلوت نفسها على يديها في السرير وهي تشعر بالضيق لدخوله غرفتها بدون استئذان ومراقبته اياها وهي نائمة. وشعرت بعدم امكانية احتفاظها بأي خصوصيات في هذا المنزل؟

«ماذا تريد؟»

واستدار اليها بهدوء، ونظر اليها:

«اذاً، فقد استيقظت. طعام الغداء جاهز وجئت لأخبرك».

جلست في السرير وأجابت باختصار:

«كان بامكان صوفيا أن تخبرني. أو أنك تريد أن تشعرني بأنك لم تطالب بكل

حقوقك كزوج؟»

وضاقت شفتا أليكس وقال:

«لا تحاربيني بالكلام، شارلوت لأنه تنقصك الأسلحة».

وابتعد عن النافذة وهو يتابع:

«أرجو ألا تحرذي هنا في غرفتك طوال النهار في المستقبل».

«وماذا يجب عليّ أن أفعل؟ ألعب بأصابعي على الشرفة؟»

وقال لها بهدوء:

«أنت تعرفين جيداً أن هناك مميزات للحياة هنا».

«ما هي تلك المميزات التي فاتتني؟»

رفضت شارلوت أن تهدىء من تهورها بالرغم من أن قلبها كان يخفق بشدة. ولكن أليكس لم يكن خصماً ضعيفاً، وأجابها:

« شارلوت أنت مدركة ماذا تفعلين، ألست كذلك؟»

وتلاشت كل رغبتها في المشادة الكلامية ونهضت عن السرير وحاولت ترتيب بنطالها وقالت له:

«اذا سمحت أن تخرج من الغرفة لن أستغرق وقتاً طويلاً».

ولارتياحها اتجه الى الباب وقال:

«اذا كنت تصرين على ذلك فلا بأس ولكن ارتدي شيئاً أخضر، لأنه يناسبك».

وشعرت برغبة قذفه بشيء ما ولكنه والحمد لله ترك الغرفة.

وأخذت شارلوت حماماً ولبست فستاناً طويلاً أزرق باهتاً وتجاهلت كل ملاحظات أليكس ورفعت شعرها فوق رأسها. كان أليكس جالساً الى منضدة الطعام يتفحص ما في كأسه ونهض لقدومها وأمسك لها بالكرسي لتجلس، ثم قرع الجرس بجانبه. وقدمت لهما تينا البطيخ الأصفر. وعندما كانا وحدهما قال:

«بعد ظهر اليوم سأخذك في جولة حول الجزيرة، وعندها لن يتبقى عندك عذر بالشعور بالملل.

وضغطت على شفتيها وهي تحدق في صحنها بعدم ارتياح. لم تكن قد شعرت بالملل، على العكس بل كانت الشمس مغرية لكنّ ضيقها وكبرياءها منعاها من ذلك. ومن الطبيعي أنه ما من سبب يدفعها لاخباره بذلك. وسألها:

«أنت تعرفين السباحة، على ما أظن؟»

ولما اكتفت بايماءة من رأسها تابع قائلاً:
«حسناً، اذاً احضري معك لباس السباحة. هناك خليج صغير حيث عمق الماء أكثر من عشرين قدم.
وابتلعت شارلوت ريقها وقالت:
«لا يتحتم عليك تسليتي فأنا... أنا قادرة على تسلية نفسي».
نظر اليها أليكس باذعان وقال:
« شارلوت أعرف أني لست مجبوراً بتسليتك ولكن عندي وقت فراغ وأنت غريبة هنا...»
ودفع الصحن نصف الفارغ أمامه ونظر اليها بنفاد صبر وتابع:
«بالله عليك، هل تكرهين حتى النظر اليّ؟»
«وهل تتوقع مني غير ذلك؟ أنا لم أخلق هذا الموقف، أنت الذي فعلت، لماذا يجب عليّ...»
«أبوك هو الذي خلق هذا الموقف، أرجو ألا تنسي ذلك».
«أتظن أني أنسى؟»
وكادت شارلوت أن تدفع بكرسيها وتسرع عائدة الى غرفتها ولكن أليكس أمسك بمعصمها وثبّتها بقوة في مقعدها. وقال لها بلهجة الأمر:
«لا تذهبي. وحسناً، اذا كنت لا ترغبين قضاء بعد الظهر معي فلن أجبرك على ذلك».
وحدقت به شارلوت بمزيج من الألم والتعاطف. لقد أنقذت نفسها مؤقتاً ولكن هل هذا حقاً ما تريده؟ لم تكن قادرة على فهم مشاعرها المختلطة والمشوشة. ولما تركها دعكت معصمها من الالم.
كانت الوجبة الرئيسية مؤلفة من بيض وسلطة، وأخذت شارلوت تعبث بالطعام في صحنها منزعجة من فشلها في اتخاذ قرار. ماذا حصل الآن؟ هل استمتعت حقاً بهذه المناوشات مع زوجها؟ هل سرّت حقاً أنه انسحب الآن من المعركة؟ ولما انتهت الوجبة وقف أليكس وقال:
«اعذريني، طعام العشاء الساعة الثامنة، وسأراك بلا شك عندئذ».
ونظرت اليه شارلوت وقالت:
«نعم
وأجابها بايماءة صغيرة قبل أن يغادر. ولمدة ثلاثة أيام لم تر شارلوت زوجها

الا أثناء وجبات الطعام. كانت نهارات طويلة وشعرت بالوحدة، فقلما ابتعدت عن الفيللا. وتناولت طعام الافطار في سريرها وبعدها إما أن تأخذ حماماً شمسياً أو تتمشى على الشاطىء. لم تسبح ولم تصادف زوجها مرة ثانية كما فعلت في ذلك الصباح. طعام الغداء كان دائماً الساعة الثانية. وبعد الغداء كانت تذهب الى سريرها وفي يدها كتاب من المكتبة التي عرفّتها عليها ماريا. وكان يحضر أليكس لتناول الشاي في الشرفة معها. الساعة الخامسة وطعام العشاء الساعة الثامنة. كانت تنتهي وجبة العشاء بين التاسعة والتاسعة والنصف، وكان أليكس يذهب بعدها الى غرفة الجلوس للاستماع الى الموسيقى ولكنه لم يدعها أبداً، وبالتالي كانت تذهب الى سريرها معظم الايام في الساعة العاشرة حتى لو لم تنم. أحياناً كانت تصادف فيتوريوس وديميتريوس في الفيللا. وعلمت من صوفيا أن الاخوين سانتوس يعيشان في القرية ولكن بما أن أليكس كان في اجازة فلم يكن وجودهما ضرورياً. شعرت بالوحدة خلال تلك الأيام حيث أن عدد الكلمات التي تبادلتها مع أليكس أثناء طعام الغداء والعشاء كانت معدودة ومن الصعب القول أنها محادثة. كانت محادثاتها الوحيدة مع الخدم. وفي صباح اليوم الرابع كانت تجلس على الشرفة تقرأ كتاباً وهي ترتدي بنطلوناً قطنياً وبلوزة عندما أتت صوفيا لتعلن أن السيدة ألني فولكنر وصلت وهي تنتظرها في الصالون.

ورددت شارلوت الاسم: السيدة ألني؟ ونهضت بسرعة وتركت زجاجة الكريم التي كانت تستعملها للوقاية من حروق الشمس واستفسرت... من هي؟

وتعجبت صوفيا بنظرات عدائية كالعادة، وكأنه من المفروض أن تعرف شارلوت من هي السيدة ألني؟

«انها جدة أليكس».

ورددت شارلوت:

«جدة أليكس».

كان قد أخبرها أن جدته تعيش في الجزيرة ولكن ماذا تفعل هنا الآن؟ وأين أليكس؟»

واستوقفت شارلوت صوفيا متسائلة:

«هل تعرفين... هل تعرفين أين... أين زوجي؟»

وأجابتها صوفيا باليونانية:

«لا أعرف».
وبالرغم من معرفة شارلوت الضئيلة فهمت ما تعنيه صوفيا. وأجابت:
«حسناً».
وصرفت الفتاة ودخلت الى الفيللا.
كانت ألني فولكنر طويلة القامة، حتى أنها أطول من شارلوت، لم تكن نحيلة وكانت ترتدي ثوباً أسود طويلاً. وبدا غريباً لشارلوت أن معظم السيدات اليونانيات يفضلن الألوان القاتمة في هذا الطقس الحار بينما الألوان الفاتحة قد تخفف الحرارة. كانت ألني سمراء وشعرها الأبيض بدا واضحاً متناقضاً مع لون ثوبها. وبالرغم من أن شارلوت قدّرت عمرها بين السبعين والثمانين، لم يكن ظهرها محنياً ولم تظهر علامات الضعف والعجز عليها. ودخول شارلوت من الضوء الساطع الى الظل أعطى المرأة العجوز الوقت الكافي لتتفحصها بينما تعتاد على الضوء الداخلي. وبادرتها ألني فولكنر بقوة وصراحة:
«اذاً أنت شارلوت. لماذا لم يحضرك حفيدي لمقابلتي؟»
وقالت شارلوت:
«ألا... ألا تتفضلين بالجلوس، سيدة فولكنر؟ أنا... أليكس ليس هنا الآن».
نظرت اليها ألني بريبة لبضع لحظات وجلست على أحد المقاعد. وقالت:
«حسناً. لم تجيبي على سؤالي».
فنظرت شارلوت حولها ورأت ماريا تقترب من الباب فشعرت بالارتياح واستدارت الى زائرتها وقالت:
«ما رأيك بفنجان قهوة؟»
فأجابت ألني بعصبية:
«أنا لا أشرب القهوة؛ شوكلاتة، نعم».
وهزّت شارلوت كتفيها ونظرت الى ماريا:
«هل يمكنك احضار الشوكلاتة للسيدة فولكنر؟»
ولما أومأت ماريا رأسها بالايجاب تابعت شارلوت قائلة:
«لاثنين اذا أمكن».
فابتسمت ماريا بتودد وانصرفت. وجلست شارلوت مقابل زائرتها وقالت في محاولة لبدء الحديث:
«لا أعلم أين ذهب أليكس. أنا آسفة أنه ليس موجوداً ليراك. أنا متأكدة أنه

سينزعج اذا لم يرك. ربما بامكانك أن تتناولي يوماً معنا طعام الغداء أو العشاء».

فاستوقفتها ألني قائلة:

«أرجوك عدم خلق الاعذار. أنا لم أسألك أين حفيدي، فأنا أعرفه جيداً على الأغلب أنه على ظهر احد الزوارق، ولكني سألتك لماذا لم يحضرك لرؤيتي؟»

وأجابت وكأنها لا حول ولا قوة لها:

«أنا... نحن وصلنا فقط منذ أربعة أيام ولم يكن عندنا وقت».

«كلام فارغ. أليكس يعرفني، ويعرف أني انتظرت عشرين عاماً ليتزوج، فليس من الكثير عليّ أن أكون مشتاقة لرؤية زوجته».

وشبكت شارلوت يديها حول ركبتيها وقالت:

«بالطبع لا. ولكن يعني... أنت تعرفين كيف تسير الأمور...»

«لا أعرف ولهذا أسألك».

لم تكن ألني لتتركها تفلت من هذا السؤال. وتذكرت شارلوت أنه عندما كان ينوي أليكس اصطحابها بجولة في الجزيرة كان على ما يبدو ينوي أخذها الى جدته ولكنها رفضت الذهاب معه.

وأدركت شارلوت أنه ما من فائدة للأعذار فقالت:

«أنا آسفة لم أتخيّل أنك مهتمة برؤيتي الى هذا الحد».

وضاقت عينا ألني وقالت:

«ولم لا؟ لماذا لا أكون مهتمة بحفيدتي الجديدة؟»

وما كانت تقصده شارلوت هو أنه في انكلترا الجدات والاجداد لا يهتمون عادة الى هذا الحدّ بشؤون أحفادهم. وارتاحت شارلوت عندما سمعت صوت زوجها مرحباً بجدته وقد اتكأ على الباب وهو يرتدي البنطلون القصير وقميصاً قطنياً. ودخل الى الغرفة وقبلّ يد جدته وقالت له ألني:

«الكسندروس».

وحدّقت به محاولة الاستفهام ثم تابعت قائلة:

«لماذا تخفي زوجتك عني؟»

واعتدل أليكس بوقفته وقال:

«جدتي ما زلنا حديثي العهد في الزواج... هل كنت أنت وجدي تواقين لرؤية الناس في شهر عسلكما؟»

«كان ذلك مختلفاً لأني أنا وجدك لم نقض شهر العسل بين العائلة. وأنت وعدتني

بأن تأتي لرؤيتي».

وشعرت شارلوت بالضيق لسماعها تلك المحادثة، من جهة لأنها احست بمسؤوليتها عن تقصير زوجها في حق جدته. ومن جهة ثانية لأنه كان يعطي جدته فكرة خاطئة عن طبيعة علاقتهما، ولكن ماذا كان بامكانه أن يقول؟ كيف يشرح لتلك المرأة العجوز الجاهلة أن السبب الوحيد لهذا الزواج هو لعبة قمار ورغبة مؤخرة بابن ووريث. وعادت ماريا بالشوكولاتة واقترحت احضار فنجان ثالث عندما شاهدت أليكس . لكنه أجابها بالرفض. واستدار الى جدته قائلاً:

«ستبقين طبعاً معنا على الغداء. سأذهب لتبديل ثيابي».

ونظرت اليه جدته وقالت:

«لا. الكسندروس، لن أبقى على الغداء اليوم. لم آت لأتدخل بخصوصياتك. أتيت لأقابل زوجتك وها أنذا».

ونظرت الى شارلوت وقالت:

«انها جميلة ولهذا على ما يبدو تريد أن تحتفظ بها لنفسك. ولكن أتوقع رؤيتكما قريباً، أليس كذلك؟»

ونظرت شارلوت الى زوجها وهي مدركة أنه يتوقع منها شيئاً ثم قالت:

«أرجوك إبقي على الغداء، فهذا يسرّني جداً».

«شكراً يا عزيزتي ولكن أنا أعرف عندما يكون وجودي غير مرغوب به».

وأشارت ألني الى الشوكولاتة الموجودة على المنضدة بجانب شارلوت وقالت:

«اذا كان بامكاني تناول بعض الشوكولاتة ثم اذهب».

«شوكولاتة؟ آه، نعم. أنا آسفة».

كادت شارلوت أن تنسى الشوكولاتة وحاولت أن تسكبها بدون أن تدلقها.

وقطبت ألني وهي تحدق بأليكس قائلة:

«ما بك يا بنيّ تبدو شاحباً؟»

ونظرت الى شارلوت وقالت:

«ويبدو أن زوجتك مرتبكة بوجودي، ماذا حكيت لها عني؟»

وابتسم أليكس بدون أن يفقد جديته وقال:

«يا جدتي، أنت تتخيلين الاشياء. وثانياً اعطاؤك ملاحظة عن ارتباك شارلوت بحضورها يزيد من ارتباكها».

وهزت ألني كتفيها وتناولت الشوكولاتة من يد شارلوت وتابعت:
«صحيح أنها نحيلة ولكن بعد الحمل والولادة، كل شيء سيتغير».
«لا أتمنى ذلك، فأنا معجب بها كما هي».

شربت ألني الشوكولاتة ببطء في حين أن شارلوت وجدت صعوبة حتى في ابتلاعها. ولما كانت جدة أليكس قد رفضت البقاء على الغداء، فلم يذهب هو لتبديل ثيابه وشعرت شارلوت بالارتياح لذلك ولو أن ذلك كان يعني أنه ربما سيذهب في اللحظة التي تغادر فيها جدته. وأخيراً قررت ألني الذهاب ورافقها أليكس وشارلوت الى الباب. ولدهشة شارلوت كانت هناك عربة بانتظارها يجرها حمار، فتركت زوجها وجدّته بدون شعور، واتجهت الى الحمار تتلمس عنقه وتحدثه... لم يكن قد خطر لها كيف جاءت ألني من الطرف الآخر من الجزيرة، فلم تر أي سيارة منذ وصولها الى الجزيرة ولما كانت كلّ الأمكنة على مسافات قريبة يمكن قطعها سيراً فلم يخطر لها أن هناك أي وسيلة للمواصلات.

واقتربت منها ألني وصعدت الى العربة وساعدها أليكس في ذلك، وأمسكت باللجام والسوط لتنطلق.

وسألتها شارلوت بحرارة وتلقائية:
«ما اسمه؟»

ونظرت اليها ألني باستغراب وأجابتها أخيراً:
« بيبي. أنت تحبين الحيوانات أليس كذلك؟»

فأومأت شارلوت بتشوق وقالت:
«أنا أحبها، كان عندنا كلب...»

وترددت قبل أن تتابع:
«وبعد وفاة والدتي وذهابي الى المدرسة لم يعد هناك من يصطحبه في نزهته اليومية، فقرر والدي أننا يجب أن نتخلص منه».

تبادل أليكس النظرات مع جدته ثم انطلقت ألني وقالت:
«يجب أن أذهب الآن وسأراكما بعد أيام قليلة. لا تنسى يا ألكسندروس».

وغادرت العربة باتجاه القرية وشعرت شارلوت بالضيق نوعاً ما، فبالرغم من الضغط الذي تعرّضت له أثناء محادثتها مع جدة أليكس كان هناك بعض التشويق. والآن عادت الأمور الى رتابتها والى الروتين الطبيعي.

عاد أليكس الى المنزل ولحقت شارلوت به ودخلت الى القاعة لتجد

كرسيها الذي تركته في مكانه وكذلك الكتاب الذي كانت تقرأه قبل مجيء ألني. لم تر أليكس ولربما اتجه الى غرفته، وكانت شارلوت قد استنتجت أن أليكس يحتل غرفة قريبة من غرفتها واللمحة الخاطفة التي رأتها منه أن غرفته لم تكن مترفة وانما عادية جداً بالمقارنة مع غرفتها: أغطية السرير والستائر كلها عادية وكذلك الأريكة الموضوعة بجانب سريره.

كانت الساعة الثانية عشرة وامامها أكثر من ساعتين لاضاعتهما حتى يحلّ طعام الغداء. وشعرت بالحرّ ورطوبة الجوّ وتمنت لو أنها تعرف أين بركة السباحة التي ذكرها لها أليكس وبعدها تناست الفكرة، فما من طريقة يمكنها بها اكتشاف مكانها. كان الطقس حاراً جداً وليس من المناسب السير حول الجزيرة. وكانت تتردد في الرجوع الى الشرفة عندما شعرت بيد اليكس تبعدها ويخرج الى الشرفة واستند الى احد الأعمدة ونظر اليها وكان قد غيرّ ثيابه.

«حسناً شارلوت بماذا تفكرين؟»

واعترفت شارلوت:

«كنت أفكر بأني أشعر بالحرّ والرطوبة».

وتجاهل ملاحظتها وتابع:

«وما رأيك بألني؟»

وهزّت كتفيها قائلة:

«انها لطيفة جداً».

«ولكنها فضولية».

«أنا لم أقل ذلك».

وحولّ أليكس نظره قائلاً:

«لا. ولكنها فضولية. كنت أنوي أن أعرفك بها في ذلك اليوم ولكن... توقعت أنها ستأتي عاجلاً أو آجلاً».

«كان بامكانك تحذيري».

«لماذا؟ لم ألاحظ عليك أية رغبة بالتحدث معي».

ووضعت شارلوت يديها المتعرقتين في جيبيها وقالت:

«لا، حسناً، ربما تسرعت».

وتابعت نصف مجبرة ولكن هناك ما دفعها للكلام وقالت:

«أظن أننا يجب أن نتكلم مع بعضنا أكثر، والا فكيف سأعتاد عليك».

واستدار أليكس وما زال يستند الى العمود وقال:

«تابعي».

وشعرت بوجوب الدفاع عن النفس:

«يعني ألا تفضلّ أن نتصرف كأناس متحضرين؟»

فأومأ قائلاً:

«بالطبع. ولكن ما الذي غيرّ رأيك؟ هل تشعرين بالوحدة؟ من الصعب أن أصدّق بأنك تتوقين لصحبتي».

وضغطت شارلوت شفتيها وقالت:

«اذا كنت ستبدأ بالسخرية...»

«وكيف تريديني أن أكون؟ تقفين هنا وتقولين ربما كنت متسرعة، وربما علينا أن نتحدث أكثر. ربما أنا لا أريد محادثتك؟»

وتعجبت شارلوت كيف أنه من السهل أن يجرحها ورفعت رأسها قائلة:

«يا ليتني لم أذكر ذلك».

وهزّ رأسه بعصبية:

«هل عدنا الى مهاتراتنا الولاّدية؟ وهل تراجعت عن عرضك المغري؟»

وانفجرت قائلة:

«أنت انسان قاس. هل تعرف ذلك؟»

«وأنت فتاة لطيفة، وأنا أسأت فهمك. أنا أعرف ذلك. اعذريني اذا صعب عليّ فهم الأمر».

فتقدّمت شارلوت وهمّت بتناول كتابها ومغادرة المكان، لكنه أمسك بها ومنعها.

«دعينا نتوقف عن هذه المباريات».

وكانت قريبة منه بحيث اختلطت انفاسهما وتابع هو قائلاً:

«سأصطحبك الى بركة السباحة، اذا أردت».

وبدت عليها علامات الغضب، ولكنه شدّ على يدها وهو يقول:

«لا تنكري فربما أنفذ ما ستقولين».

وانتزعت يدها من بين أصابعه غير راغبة بالاعتراف بما تسبب هذه المشاحنات بداخلها. ودعكت يدها من الألم. كانت تصارع بداخلها ضد المشاعر التي تدفعها نحوه ولكن تغلب عليها ضعفها وقالت:

«حسناً، أود أن أذهب للسباحة».

واستدار وهو يقول:

«عندك ثياب سباحة، أليس كذلك؟ احضريها لا تضيعي الوقت».

وترددت لحظة قبل أن تنطلق الى غرفتها وتعود في ملابس السباحة واختارت اللون الأبيض، وارتدت بنطلونها مرة ثانية لكنها قررت أن القسم العلوي من بزة السباحة سيبدو سخيفاً فوق حمالة الصدر العادية فأخذته معها في حقيبتها مع منشفة. كان أليكس ينتظرها في القاعة، ولم يكن يحمل معه أي شيء، وربما أنه ارتدى ملابس السباحة تحت بنطلونه كما فعلت هي وسألها ببرود:

«هل أنت جاهزة؟»

وأومأت وتقدمته خارجة من المنزل. وأخذ حقيبتها منها وقال:

«الحقي بي».

كان الطقس حاراً جداً في الخارج حتى أنه أكثر حرارة من ساعة غادرتهم ألني. وتعبت شارلوت من اللحاق بأليكس على الأرض الوعرة وبدأت تشعر بالألم في ساقيها من قلة التدريب. كان البحر يحيط بهم وصوت الأمواج يتكسر على الصخور، كل ذلك جعل السباحة تبدو مغرية في هذا الطقس الحار. كان أليكس سريعاً في خطواته ولكنه توقف بين حين وآخر ليسمح لها اللحاق به، لم يتحدث معها ومع ذلك كانت سعيدة. وفي أي حال كانت أنفاسها متقطعة بحيث أنها كانت غير قادرة على التحدث معه. وتوقف فجأة وأشار الى منحدر قاس وقال وهو سعيد باحمرار وجهها:

«هذه هي. تعالي، سأعطيك يدي. انه منحدر قاس».

وأمسكت شارلوت بيده ليساعدها على هبوط الممر الوعر الذي بدا لشارلوت وكأنه ممر خصص للنعاج والماعز وليس للانسان. وتسمّرت عيناها على ظهر أليكس حيث كانت تلحق به وهو يهبط المنزلق ولم تجرؤ على أن تفكر بما قد يحدث لو انزلق أليكس. وأخيراً وصلت الى الأرض المستوية التي كانت بمثابة رصيف للبحيرة الطبيعية.

فترك يدها أليكس وهو يضحك محاولاً دعك أصابعه قائلاً:

«هل أدركت أنك كدت تكسرين أصابعي؟»

وارتاحت شارلوت وهي تقهقه وقالت:

«أنا آسفة، ولكنه منحدر جداً».

ونظرت خلفها الى حيث أتيا وقالت:

«هل يتوجب علينا فعلاً العودة في هذا الطريق؟»

وقال لها وهو يخلع صندله:

«الصعود عادة أسهل من الهبوط. ولكن هل يستحق المكان هذا التعب؟»

ونظرت شارلوت حولها بتشوق وقالت:

«لم أعد أستطيع الانتظار. أود النزول الى الماء».

وقال لها أليكس:

«ولم لا. انزلي الى الماء».

وخلعت بنطلونها وسارت على الرصيف وحاولت انزال اصابعها في الماء وشعرت ببرودة الماء وبعد لحظات اعتادت عليها وجلست وأنزلت ساقيها في الماء. ولاحظت أن أليكس كان جالساً على احدى الصخرات وقد رفع أحد ساقيه ليتكيء بكوعه عليه.

وتشجعت شارلوت وغاصت في الماء بين الأمواج وأعشاب البحر، ولما رفعت رأسها كانت قد وصلت الى منتصف البحيرة، وكان أليكس يقف عند الحافة وبدا القلق في عينيه، فسبحت عائدة اليه وهي تنفض شعرها عن عينيها وقالت:

«هل قلقت عليّ؟»

وأجابها بجفاء:

«وماذا تظنين؟»

وتابع بهدوء:

«وكيف وجدت السباحة؟»

واستدارت على ظهرها وأغلقت عينيها من تأثير الشمس وهي تقول:

«رائع. ألن تنزل؟»

«لا أظن».

وعادت محدقة به:

«ولم لا؟ ألا تشعر بالحر؟»

وأومأ قائلاً:

«نعم ولكن... استمتعي أنت».

وعاد الى حيث كان يجلس من قبل. فتوقفت شارلوت وأسندت ذراعيها وذقنها وسألته

«ما بك؟ ظننت أننا أعلنا الهدنة».
«هذا صحيح. ولا أريد أن ابدأ بالعداء مرة ثانية».
ولما كانت تنظر اليه مندهشة، تابع حديثه قائلاً:
« شارلوت، لم أسبح بلباس السباحة، منذ أن كان عمري ثماني سنوات».
فاستدارت شارلوت وهي تسبح مبتعدة في عرض البحيرة. كان يجب أن تتوقع ذلك، فهذه جزيرته ومن المحتمل أن البحيرة ملك خاص. وربما هذا السبب بعدم وجود فارق في لون جسمه. كانت أفكارها مشوشة وشعرت بالسعادة حيث أن الماء نشفت موجة الحرارة والارتباك التي اجتاحت جسمها.
ومع ذلك شعرت بالوحدة وهي تسبح لوحدها. وتمنت لو أنه يرافقها. بالطبع سيفعل لو طلبت منه ولكن... وسبحت عائدة الى الحلقة وقالت:
«من يسبح هنا غيرك؟»
وتنفس بعمق قبل أن يجيبها:
«ما من أحد غيري هذه الايام. عندما كنت صبياً كنت أسبح أنا وفيتوريوس وديميتريوس وبعض الأولاد ولكن الآن...»
وهز كتفيه بدون مبالاة. وأومأت شارلوت قائلة:
«كم الساعة الآن؟»
ونظر الى ساعته وأجابها:
«الساعة الواحدة والربع».
«متى يجب أن نبدأ في طريق العودة؟»
«ربما خلال خمسة عشر أو عشرين دقيقة».
وأومأت شارلوت وعادت الى الماء.
«لا أظن أني أمتلك الشجاعة الكافية لآت هنا لوحدي...»
وأجابها أليكس:
«لا تفكري بهذا اطلاقاً. فمن الممكن أن تكون السباحة خطيرة في المياه العميقة اذا حصل معك تشنج... أنا أعرف ذلك».
وتنهدت شارلوت وعادت تسبح عبر البحيرة بتكاسل. وكانت تهم بالعودة عندما شعرت بشيء يغوص في منتصف البحيرة، شيء قوي جداً وسريع بحيث لم تشعر بأي خوف. ولما شاهدت أليكس بجانبها شعرت بالارتياح لأنه قرر أن ينضم اليها.

وابتسم لها أليكس قائلاً:

«أعدك بأني لن أستغلك. اذا قطعت لي وعداً مماثلاً».

وابتسمت. وتابع هو قائلاً:

«وفي أي حال أنت أردت أن أنضمّ اليك، أليس كذلك؟»

وأومأت شارلوت:

«آه. نعم».

ومضى الوقت بسرعة كبيرة. فلم تكن شارلوت قد جربّت من قبل الرياضة المائية ولكن أليكس دفعها للانخراط معه في الغطس والسباق والسباحة. وكانت تعرف أنه يحاول التخفيف من سرعته ليتمشى مع أنفاسها المتقطعة. وعلّمها كيف تحبس أنفاسها مدة أطول تحت الماء وكيف تتحكم بتنفسها. وسبح معها ليريها من أين تدخل مياه البحر بين الصخور.

ولكن كان عليهما أن يتركا الماء أخيراً وبقي أليكس في الماء بينما نشّفت نفسها وارتدت بنطلونها فوق البيكيني. وبدأ يجف القسم العلوي من البيكيني بحرارة الشمس. واستعار أليكس منشفتها ليستعملها. ولم تعد تشعر بأي ارتباك، وفي أي حال فهذا زوجها. ومن ثم شعرت بالصدمة لتذكرها بأنها بدأت تتقبل الموقف. وكانت ماريا تبحث عنهما عندما وصلا وقد بدا عليها القلق. وتكلّمت مع أليكس باليونانية، فأصرّ عليها قائلاً:

«بالانكليزية ماريا».

وتابعت:

«أين كنتما؟ لقد مضت الساعة الثانية من زمن طويل. كنت على وشك أن أبعث صوفيا لتجلب فيتوريوس».

وربت أليكس على كتف ماريا وقال:

«كنا نسبح ونسينا الوقت».

ونظرت ماريا الى شارلوت:

«تسبحان؟ آه... هذا واضح».

وفهمت شارلوت ما خطر الى ذهن العجوز، وشعرت بالارتباك، لأنه ولا شك ماريا تعرف حق المعرفة ما هي عادات أليكس بالسباحة، وسبقتهما ماريا ودخلت الى الفيللا.

٥ ـ الرجل والاسطورة

عندما نزلت شارلوت الى الغداء كان أليكس بانتظارها وقد ارتدى قميصاً وسرّح شعره، في حين أنها استحمت وارتدت فستاناً أبيض كشف عن يديها وقدميها للشمس.

وقدمت لهما تينا الشوربة.

وسألها أليكس:

«ألم تستمتعي بالساعات القليلة الماضية؟»

فقررت أن تكون صادقة وأجابت:

«نعم، كثيراً».

واقترح بهدوء:

«ألا تظنين أنه من المنطق أن نقضي وقتاً أكثر مع بعض؟»

فنظرت اليه مستفسرة:

«وماذا تعني بذلك؟»

«لا أعني في السرير، اذا كان هذا ما تخشينه».

فسألته بتردد:

«أهذا ما تريد؟»

فتنهد أليكس:

«لا أرى مانعاً من أن نكون أصدقاء على الاقل».

وشعرت بأنها تخون مبادئها وقالت:

«وكيف يمكن لي أن أكون صديقتك؟»

فنهض بعصبية وسار الى السلم وقال:

«وكيف يمكنك أن تكوني عدوة لي؟»
واستدار نحوها ووضع يديه في جيبيه وقال:
« شارلوت لقد صبرت عليك كثيراً وأكثر مما يمكن أن تتوقعي مني. لماذا تستمرين بمحاربتي طوال الوقت؟ هل أنت تعيسة في حياتك هنا؟ هل اخترت لك حياة تعيسة قاسية؟ هل تفضلين لو كنت في ضباب وشتاء لندن البارد؟»
ووضعت شارلوت ملعقتها وقالت:
«انها أسئلة غير عادلة».
«أنا لا اوافقك. أنت هنا ألست كذلك؟ وأنت زوجتي. كم مرة يجب أن أذكرك بذلك؟»
وأجابته وهي تبعد خصلة الشعر عن وجهها:
«أنا لا أحتاج للتذكير».
وتابعت:
«تعال وتناول طعامك، لا شكّ أنك جائع».
وضاقت عينا أليكس وهو يسألها:
«وماذا يهمك؟ أنت لا تهتمين حتى لو رأيتني أموت جوعاً. لا تنكري ذلك».
واحتجت بشدة:
«ولكن يهمني. أنا لن أقف جانباً وأتفرجَ على أي انسان يموتٍ جوعاً»
«آه... شكراً لك».
وعاد ليجلس في مكانه وهو في مزاج ساخر.
وقالت:
«حسناً، حسناً، دعنا نجرّب ذلك... أعني أن تقضي وقتا اكثر سوية».
وقطّب أليكس وسألها بتشكك:
«وهل هذه مناورة جديدة؟»
وابتسمت شارلوت:
«لا.لا. أنا أعني ما أقول. خذني في جولة حول الجزيرة. أحبّ أن أراها كلها».
وفي الايام القليلة التالية تجاهلت شارلوت ضميرها وسمحت لنفسها أن تستمتع بصحبة أليكس. وكانت صحبته جيدة. فهو يعرف الجزيرة بكل ما فيها من شمالها الى جنوبها: المنحدرات الصخرية، جعلت من الجزيرة قلعة حصينة ولم تستغرب شارلوت عندما علمت أن والده اشترى الجزيرة، وموته على ايدي

الارهابيين جعلها تفكر بالاخطار التي قد يتعرّض لها أليكس عندما يترك الجزيرة. بالرغم من وجود الحارس الخاص ولكن ماذا بامكان الحارس فعله أمام رصاص المسدس؟

وذهبا الى السباحة معاً وتنازل أليكس عن حبه للحرية من أجلها بأن ارتدى بنطاله القصير في الماء. وعلّمها كيف تستعمل الزورق البخاري، وأخذها مرتين للتجذيف في الخليج، وأول مرة ذهبا في زورق السباق الذي شاهدته أول يوم، وفي المرّة الثاينة اصطحبها في زورق شراعي عرفت ان الابحار هوايته الحقيقية. كان ذلك يذكرّها بأبيها، لكن أليكس كان على العكس من أبيها الذي كان يصرّ على أن يفعل كل شيء بيده، في حين أن أليكس كان يسلمها القيادة لفترات، وكانت أحياناً تستلقي على ظهر الزورق باسترخاء. وفي مثل تلك الأوقات كانت تشعر باستحالة امكانية مهاجمته. بالاضافة الى أنه أراها الجزيرة وشرح لها عنها فهو يعرفها عن ظهر قلب، وشعبها وصناعاتهم وأساطيرهم. ووجدت شارلوت الاساطير بالذات مشوقة لأنها دائماً كانت تستمتع بقصص الماضي والاساطير. ولمّا عرفت من ماريا بالصدفة أن لجزيرة ليدروس اسطورتها الخاصة بها أصبحت متشوقة لسماعها. ولكن أليكس رفض أن يخبرها بها وما كان عليها الا أن تبحث في الكتب حتى وجدت ما كانت تبحث عنه. ففي احدى الأمسيات كانت تجلس على احدى الارائك تحاول دراسة الاساطير فدخل أليكس الى المكتبة.

دهشت لرؤيته حيث أنها كانت تسمع صوت الموسيقى مقبلاً، من غرفة الجلوس وظنت أنه هناك. وخلال الأيام القليلة الفائتة عرفت أنه يحب جميع أنواع الموسيقى من الجاز الى الايقاع والموسيقى الكلاسيكية. كان هناك تشابه مدهش بين ذوقيهما، ولكن أليكس دخل بغضب وهو يرتدي بنطلوناً أسود وقميصاً حريرياً خمري اللون.

«ماذا تفعلين؟»

وكان يحدق بكتاب الأساطير الذي حملته.

«ما هذا؟ أساطير وخرافات؟»

ونظرت اليه وقالت:

«أنا أبحث عن اسطورة ليدروس. هل يوجد عندك مانع؟»

فأخذ الكتاب الضخم من بين يديها وقال:

«في الحقيقة عندي مانع».

فشعرت بخيبة أمل ورجته بقولها:

«أه، أرجوك لا تأخذه، لأني وجدتها أخيراً».

وأغلق أليكس الكتاب بعصبية وقال:

«ولم أنت مهتمة كثيراً باسطورتنا؟»

واحتجت قائلة:

«ولم».

ونهضت من مقعدها في ثوبها الازرق والاخضر وامتدت لتتناول الكتاب قائلة:

«أليكس، أرجوك لا تكن بخيلاً».

فابتسم لها ابتسامته التي كانت تضعف من مقاومتها، فجلست في مقعدها وبرمت شفتيها ونظر أليكس اليها بسرور وقال:

«حسناً».

فتوسعت عيناها. وتابع قائلاً:

«اذا كنت مصرّة على سماعها فسأخبرك بها. أنها بسيطة: في غابر الازمان أنقذ ليدروس ملك هذه الجزيرة احدى الفتيات من حطام سفينة، وأحب الفتاة ولكنها وجدته قبيحاً كبير السن وكانت تخاف منه، فأجبرها على العيش في الجزيرة لمدّة من الزمن وبدأت تعرفه جيداً وتهتم به. لم يعرف هو بذلك وأشفق عليها وأطلق سراحها فرفضت هي الذهاب، هذه هي القصة كلها».

وكانت تستمع له باهتمام وقد أسندت ذقنها بين يديها.

وقالت:

«انها شبيهة بقصة الجميلة والوحش، أليس كذلك؟ الا أن والد الفتاة لا دخل له في هذه القصة. آه...»

وتوقفت فجأة ونظرت اليه. كان أليكس مقطباً، واستدار ليضع الكتاب في مكانه وقال:

«حذار من الوحش».

وترك الغرفة.

والآن عرفت شارلوت لماذا لم يشأ أطلاعها على القصة: كان هناك وجه تشابه كبير بين وضعها والأسطورة، ولكن أليكس لم يكن عجوزاً كبيراً ولا

قبيحاً، ولم تعد خائفة منه. فنهضت وتوجهت متسللة الى غرفة الجلوس حيث كان أليكس. ووقفت تراقبه وبعد دقائق شعر بوجود انسان آخر فاستدار اليها وقال:

«حسناً. هل انتهيت من القراءة اليوم؟»

وأومأت شارلوت برأسها قائلة:

« أليكس أريد... أريد أن أقول لك انه لم يكن عندي فكرة...»

«لم يكن عندك فكرة عن ماذا؟»

«أوه، أنت تعرف ما أعني، الاسطورة».

«وماذا عن الاسطورة؟»

وضاقت عيناه بتحدّ، فقالت له بعصبية:

« أليكس أنت تعرف ماذا أحاول قوله. ولكنك تريد أن تصعبَ عليّ الأمر».

مرر يده على شعره وقال لها:

«هل تريدين ان تشربي شيئاً؟»

«لا. أنا لست عطشى».

وأشار الى احدى الأرائك وقال:

«هل تنوين الجلوس اذن؟»

ولما نهض ليغيرّ الموسيقى انفجرت به قائلة:

«ولماذا تغيرّ الموضوع؟ لأنك تظن أن هناك وجه تشابه في الموقفين ولكنهما ليسا متشابهين فعلاً. أعني... لست خائفة منك».

ونظر اليها أليكس قائلاً:

«ألست خائفة مني؟»

وتنفست شارلوت بعمق وقالت:

«لا. وأنت لست عجوزاً ولا قبيحاً».

وابتسم أليكس قائلاً:

«نعم شارلوت أنا كبير بالسن. على الأقل أصلح أن أكون أباً لك».

واحمرّ وجهها وقالت:

«لا دخل للعمر بذلك. وأنت لست... لست كوالدي».

وأطرقت رأسها، هي التي صممَت أن تكره هذا الرجل دائماً، وتابعت:

«أظن أني أبدو لك طائشة ولكن هذا لا يعني أنك عجوز».

ووضع الموسيقى واستدار اليها وقال:

«تعالي لأعلمك كيف ترقصين على هذه الموسيقى، هل تريدين أن تتعلمي؟»
ونظرت اليه شارلوت وأجابت:
«آه... لا بأس».
سبق لها أن شاهدت رقصاً على شاشة التلفزيون ولكنها لم تجرّب ذلك في الحقيقة، ووضع يده على كتفها وبدأ يحاول تعليمهـا. وحاولـت أن تركز على الحركات الجانبية والخطوات المتقاطعة.
وبدأت الموسيقى تتسارع وخطواتها تتبع الموسيقى. ونسيت شارلوت انه زوجها في حين انها كانت تركّز على الرقص. حاولت جاهدة أن تتبعه في خطواته. وبدأ يتسارع تنفسها وهي تضحك، فنسيت خطوة مما جعل أليكس يدوس على اصبع قدمها العاري فتركته وجلست على الأرض تتلوى من الألم. وبدا القلق على وجهه وهو يحاول أن يستفسر عن السبب.
«يا الهي. أنا آسف».
وأمسك بقدمها بين يديه وسألها:
«هل تؤلمك كثيراً؟»
ونظرت اليه مازحة:
«نعم انها تؤلمني ومن المؤكد أن وزنك ليس خفيفاً».
وقال لها برقة:
«لا أظن أن شيئاً انكسر في أي حال. هل يمكنك الوقوف، أو هل أحملك؟»
فهزت شارلوت رأسها بالرفض وقالت:
«أستطيع أن أتدبر أمري.»
وحاولت أن تقف وهي تقاوم مساعدته.
«لم تعد تؤلمني. وأنا لست طفلة لتحملني كل ما آلمني أي شيء، لا تنسى ذلك».
ونظر أليكس اليها باستغراب:
«لم يخطر لي انك طفلة على الاطلاق».
«ولكنك تفكر بي كطفلة؟ أليس كذلك. وتتكلم عن أنك تصلح لتكون أبي».
ومالت عيناه الى السواد أكثر وهو يقول:
«كيف تريدينني أن أتصرف؟ هل تريدينني أن أعاملك كامرأة؟ كزوجتي؟»
فاحمرّ وجهها وهي تجيبه:
«أنا... أريدك أن تعاملني كانسانة بالغة. هذا كل ما في الامر».

فأشاح وجهه عنها وأسنانه تصطك من الضيق وهو يقول:
«هذه مناقشة سخيفة. أنا تزوجتك ألم أفعل ذلك؟»
«أحياناً أسائل نفسي لماذا فعلت ذلك؟»
«اوه، شارلوت أرجوك لا تثيريني. فلم يمر علينا وقت طويل منذ أن ابتدأنا علاقة طيبة، لا تظني أن أي شيء قد تغيرّ».
فرفعت شارلوت رأسها واعتدلت بوقفتها وقالت:
«اوه اذاً، كانت الأيام التي مرت عبارة عن تظاهر، أليس كذلك؟»
فضغط أليكس على قبضته وأجابها:
«لا، كانت طبيعية وجميلة وقد استمتعنا بها بصحبة بعضنا أو على الاقل أنا استمتعت بصحبتك، ربما أنك لم تستمتعي بصحبتي ولكن ما من شيء يمكنني فعله»..
فشعرت شارلوت برغبة بالبكاء. لقد كانت الأيام جميلة وهي الآن على وشك تخريبها.
وتمتمت:
«أنا... أنا أستمتع بصحبتك، وأنا آسفة أليكس. لقد تصرفت بسخافة».
فتنهد أليكس بعمق وقال:
«حسناً... دعينا ننسى ذلك ما رأيك؟»
«أرجوك أليكس لا تغضب مني فأنا أتلفظ بحماقة وأقول ما لا يجب قوله، ولكنك تزعجني عندما تحاول السيطرة عليّ».
وأمسك بيدها وهو يقول:
«أسيطر عليك؟ يا إلهي،، شارلوت، صدقيني لا أريد السيطرة عليك».
ونظر في عينيها بنظرات ملؤها العاطفة مما أضعفها وقال:
« شارلوت، صدقيني لا أنظر اليك على أنك طفلة. اغفر لي يا إلهي، ربما يجب أن أفعل ولكني لا أفعل ذلك».
وكان من الصعب بمكان على شارلوت أن توضح نفسها وقالت:
«أنا... أنا... لقد تأخر الوقت، وأنا تعبت».
وشعرت بالارتياح لأنه ترك يدها وقالت:
«تصبح على خير أليكس».
ولم يجبها وانما أومأ برأسه. وشعرت بالخوف لما حصل لها، فقد أدركت أنه لو أراد

أن يضمها الى صدره لما استطاعت أن تقاومه.

وعندما وصلت الى غرفتها نظرت في المرآة وشعرت باحتقان وجنتيها ولمعان عينيها وتنفسها المتسارع وكانت ما تزال عارية القدمين. وأدركت أنها نسيت صندلها في المكتبة، والمكتبة ذكرّتها بالأسطورة فرفضت أن تفكّر بها ودخلت الحمام.

ولما استلقت في سريرها لم يعد بامكانها السيطرة على أفكارها. هل حقاً ان اسبوعين من صحبة أليكس جعلتها تنسى السبب الاساسي في وجودها هنا؟ هل ان شخصيته قوية وجذابة الى الحد الذي فقدت معه السيطرة على مشاعرها؟ وهل تغفر له بهذه السهولة كونه أجبرها على تنفيذ العقد الذي وقعه أبوها؟ ورفضت أن تعترف بذلك ودفنت وجهها في الوسادة. واستيقظت في الفجر عندما شعرت بأن هناك من يجلس على حافة السرير وهو يهزها برقة. وفتحت عيناها بتكاسل وفوجئت برؤية أليكس.

«ماذا تريد؟»

وأدركت أن أليكس كان مرتدياً ثيابه، كان بنطلونه غامقاً وقميصه حريرياً أبيض، ولم تكن تلك الثياب التي قد يرتديها في الجزيرة فشعرت بالخطر.

فقال لها بهدوء:

«يجب أن أسافر خلال ساعة، اتصلوا بي من أميركا ولا بد أن الأمر هام ومستعجل وإلاّ لما اتصل بي جورج. وهو ينتظرني في الصالون. لقد أتى بالهيليكوبتر حيث ستقلنا الى أثينا وبعدها سنأخذ الطائرة. اذا كنا محظوظين سنكون في نيويورك بعد ظهر اليوم بتوقيتهم».

وحاولت أن تدرك ذلك بدهشة واستندت على يديها ولم تكن لتهتم كون ثوب نومها شفافاً كل ما اهتمت به هو سماع ما يقول، وقالت باحتجاج:

«ألم يستطع جورج أن يحل الموضوع؟ أعني أنه من المفروض أن هذا شهر عسل بالنسبة اليك».

وأومأ أليكس قائلاً:

«أعرف ذلك، وكما قلت لك، لا بد أن الأمر مهم حتى اتصل بي».

وأجابت شارلوت بضيق:

«لو لم تكن موجوداً لكان عليهم أن يتدبروا الأمر».

«ولكنني موجود. أنا آسف يا عزيزتي».

وسمعت تنفسه وهو يقول:
«وهل تظنين أني أود أن أتركك؟»
« أليكس ربما هناك في هذا العالم أناس يكرهونك كما كرهوا أبوك».
فأخذ بيدها وقبلها وقال:
«أنا لا أفكر بمثل هذه الأمور».
«ولكن يجب أن تفكّر بهذا. أليكس، أرجوك ألاّ تذهب».
فأجابها:
«يجب أن أذهب وما من خيار عندي».
«هل آت معك».
«لا».
وضمّها الى صدره بشدّة ولم يعد لديها أي مقاومة.
وشعرت بالاهانة ورفضت أن تنظر اليه. لماذا سمحت لنفسها أن تفقد السيطرة على مشاعرها.
« شارلوت يجب أن أذهب».
ولكنها لم تستدر نحوه.
« شارلوت بالله عليك ماذا تريدينني أن أقول؟»
ودفنت وجهها في الوسادة وقالت:
«لا شيء».
وأخذت تلهث عندما أخذها من يدها وطرحها على ظهرها.
كان يبدو جذاباً بشكل لا يقاوم مما جعلها تكرهه. وغطّت نفسها بأغطية السرير. ونظر اليها ببرود وقال:
«ألا تقولين مع السلامة لزوجك؟»
وابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:
«نعم، نعم مع السلامة. اذهب».
«أهذا كل شيء».
«من الحريّ بي أن أوجه اليك هذا السؤال».
وتنهد أليكس بضيق وقال:
«لا تلوميني شارلوت».
«لم لا تذهب؟ اذهب. جورج ينتظرك».

« شارلوت، أنا أحذرك... حسناً، حسناً سأذهب. وسأعلمك بموعد عودتي».

«ليس ضروريأ»

ودفنت وجهها في الوسادة مرة ثانية.

ولم تره يغادر ولكنها سمعت صوت الهيليكوبتر ترتفع حتى غاب هديرها حيث انفجرت حينئذ شارلوت بالبكاء

٦ ـ وحيدة في الجزيرة

لا بدّ أن شارلوت استغرقت في النوم بالرّغم من الحزن والأسى، لأنها استيقظت على صوت تينا مردّدة اسمها. وفتحت عينيها بصعوبة وهي تشعر بالألم الذي ذكرها بما حدث. وشعرت بالارتباك. كانت تينا تقف بجانب سريرها، وتقلّبت شارلوت في سريرها وهي تسأل الفتاة اليونانية:

«ماذا تريدين؟»

ولم يخف على تينا وضع شارلوت، أو وضع سريرها ولكنها أجابت برقة:

« ماريا قلقة عليك، لأن الساعة باتت الحادية عشرة».

وردّدت شارلوت غير مصدقة:

«الحادية عشرة».

ومدّت يدها لتتناول ساعتها من جانب سريرها ولم تصدق عينيها عندما رأت الساعة الحادية عشر وعشر دقائق. وتابعت تينا محادثتها:

«سافر السيد أليكس في ساعة مبكرة، أنا آسفة».

وشعرت شارلوت بالدموع في عينيها وهزّت كتفيها وقالت:

«لا بأس. وقولي لماريا، أنا آسفة لأني سبّبت لها القلق. سأنهض حالاً.»

وأجابتها تينا في الحال:

«ما من عجلة طالما أنك بخير».

وقالت شارلوت بعصبية:

«أنا لست مريضة. بامكانك الانصراف الآن، واخبري ماريا أني لا أريد أي فطور»

«ولكن، سيدتي...»

فأصرّت شارلوت وهي تنظر الى الفتاة:
«لا أريد شيئاً».
وانصرفت تينا.
ولّما خرجت تينا نهضت شارلوت ونظرت الى نفسها في المرآة. يجب أن يكون هناك أثر أو علامة، ولكن ما من شيء ظاهر. وبدا جسمها النحيل تماماً كالعادة. ودخلت بعدها الحمام ووقفت تحت مياه الدوش الحارة. ثمّ خرجت من غرفتها وقت الغداء وبالرغم من عدم شهيتها للأكل، أجبرت نفسها على أن تأكل ما حضرّه خريستوف بعناية من البيض وفطائر الجبن مع السلطة والكسترد. أخذت شارلوت كمية قليلة من كل شيء. وشعرت بالمرارة لفقدان شهيتها. ربما أنه عائد الى غياب أليكس. لا بد أن تينا ثرثرت ما في الكفاية لما رأته في غرفة النوم، وما من فائدة في تظاهر شارلوت بأي شيء طالما أن ثوب نومها الممزق كان ملقياً على الأرض بحيث تراه تينا. وتنهدت شارلوت بثقة وتركت المائدة وتوجهت الى القاعة. وحدقت في الافق وهي تفكر بأنها سجينة هنا مما أشعرها بالضيق. لو كانوا قريبين من أي مدينة متحضرة لكانت تركت الفيللا أو هربت، أو حاولت ايجاد انسان تتكلم معه. في حين أنها هنا سجينة مع الخدم ولا يمكنها أن تفصح لهم عما تشعر به لانهم لن يفهموها. وفي الحقيقة فهي لم تفهم كيف كان شعورها، لم تود تذكر ما حصل، وكل ما هي مدركة له، الصدمة والمرارة. تمنت لو كان أليكس على الأقل هنا فلربما كانت انفجرت فيه. ولكنها مع ذلك تخشى رؤيته ثانية.
وأمضت الساعات المتبقية من ذلك اليوم الذي بدا غريباً وهي تذرع غرف ودهاليز الفيللا رواحاً ومجيئاً، غير قادرة على الاستقرار او التفكير بأي شيء غير الذي حصل. كيف سمحت لنفسها أن تشعر بأي عاطفة تجاهه، أو أن تهتم بما حصل به؟ ولكن يجب أن تعترف حتى ولو لنفسها انها هي السبب غير المباشر بما حصل وهذا كان أصعب ما في الامر.
وفي بعد الظهر من ذلك اليوم وصلتها رسالة من جدّة أليكس. كانت مختصرة ودعتها الى الغداء في اليوم التالي. ياني، حامل الرسالة سيحضر لينقلها الى منزل جدة أليكس. كانت أكثر من دعوة بل كانت أمراً بالمجيء. ولم يخطر لشارلوت أي عذر معقول يمكّنها من رفض الدعوة. فقبلت على مضض وهي تتذكر نظرات العجوز وتصرفاتها المسيطرة. وفي أي حال الى أن يحين موعد رؤية

ألني ، عليها أن تجد اجابات مناسبة. وقبل أن تذهب الى منزل جدة أليكس وصلتها رسالة أخرى عن طريق الهيليكوبتر. شعرت بالقلق والارتباك عندما سمعت صوت الهيليكوبتر فوق الفيللا. ولما كانت استيقظت باكراً في ذلك الصباح وطلبت طعامها في غرفة الطعام، تمنّت لو أنها بقيت في غرفتها وقد عاد أليكس الآن فجأة. وسمعت صوت الخدم يتهافتون لدى هبوط الطائرة ولا بد أنهم استغربوا انها لم تنهض لتستقبل زوجها، ولكنها شعرت بارتخاء في ساقيها وبقيت مستمرّة في الجلوس.

وسمعت صوتاً خشناً بين صوت النسوة يتكلم اليونانية بطلاقة، كان الصوت مألوفاً لدى شارلوت ولكنه لم يكن أليكس وشعرت شارلوت بالارتياح. ودخلت ماريا الى القاعة يلحقها جورج كونستاندس وصعدت ماريا الدرجات الى حيث غرفة الطعام، فوقفت شارلوت بعصبية منتظرة جورج الذي حيّاها بأدب. وأجابته مرحبة باليونانية ثم ألحقته بسؤالها:

«أين... أين هو؟»

«هو؟ أتعني أليكس؟»

وكان يقف جورج في الجهة الثانية وتابع قائلاً:

«ليس معي. انه في نيويورك، كما تعرفين».

وقطبت شارلوت قائلة:

«ولكن أنت... أليس من المفروض أنك معه في نيويورك أيضاً؟»

«كنت ذاهباً معه. ولكن تغيّرت خططنا عندما وصلنا الى أثينا. وكان على أليكس أن يسافر بمفرده الى نيويورك».

«لوحده؟»

وبدت وكأنها تتهمه. فابتسم جورج وقال:

«لا ضرورة للقلق يا سيدتي، أليكس لا يبقى وحده على الاطلاق. ديميتريوس معه».

ولامت شارلوت نفسها على ردة الفعل التي أظهرتها لكنها عللت الأمر بأنها ستشعر الشعور نفسه تجاه أي انسان يجازف بلا ضرورة.

وأجابت بسرعة وقد ضايقتها المعرفة في عينيه:

«كل ما أعنيه... أني أستغرب كيف يمكنه تدبر الأمر بدونك».

وتابع قائلاً:

«حسناً، كنت أقول لك ان مخططاتنا تغيرّت واتفقنا على أن أبقى أنا في أثينا حتى يتصل بي أليكس ويعطيني تعلياته».

وجلست شارلوت وقالت:

«وقد اتصل بك الآن؟»

وأومأ جورج وقال:

«نعم. وطلب مني اخبارك انه لسوء الحظ فان ستينر الرجل الذي كان يعمل لصالحنا في المناقشات دخل المستشفى لاحتمال انفجار في الطحال. وهذا مؤسف يا سيدتي لأنه في غياب ستينر، يبقى أليكس هو الوحيد الذي يمكنه التصرف في الموضوع».

فهزّت كتفيها بعدم اهتمام في حين تابع جورج قائلاً:

«ولذلك يجب أن يبقى في نيويورك حتى تتم الصفقة».

لم تكن تعلم ماذا تتوقع بالضبط ولكنها شعرت بالتشوش نتيجة لكلام جورج كونستاندس، وكانت تحدّق بجورج بدون أن تراه. وحاولت أن تتظاهر بالطبيعية وقالت:

«آه... فهمت الآن. لماذا لا تجلس سيد كونستاندس؟»

وقرعت الجرس وتابعت:

« تينا ستحضر لنا القهوة».

وجلس جورج في مكان أليكس المعتاد وقال:

«أنا آسف أن أكون حامل الاخبار السيئة».

وتظاهرت شارلوت بعدم الاهتمام، وطلبت القهوة من تينا بينما حاولت انهاء طعام فطورها ولكنه كان من المستحيل أن تفعل في حين أن عقلها ومعدتها في حالة ثائرة.

وعندما أحضرت تينا القهوة لجورج مع بعض الفطائر، أخذ يمازحها بسؤالها عن صديقها، ثم تركت الغرفة ضاحكة. وكان من الواضح أن جورج يتصرّف كأنه في بيته، ولكن بالرغم من عدم وجود سبب لضيق شارلوت شعرت بالضيق لطريقة تعامله مع الخدم، وأكثر من ذلك لافتراضه أنها تفتقد زوجها. وكانت رغبتها قوية بأن تخبره انه حتى لو قرر أليكس أن يمضي الشهور الستة المقبلة في نيويورك فهذا لن يعنيها. ولكن بدا لها نوعاً من الطفولية، بالاضافة الى أنه ليس صحيحاً مئة بالمئة فلو بقي بعيداً آلاف الاميال

كيف ستنتهي من حياتها هنا؟ قررت ألاّ تتهوّر بالكلام، وأخذت تجيب جورج باقتضاب عندما سألها عن رأيها بالجزيرة. ووجدت نفسها تبادره الحديث بشكل تلقائي قائلة:

«أنا... هل أنت ذاهب الى نيويورك أيضاً؟»

نظر اليها وأجابها:

«لماذا؟ هل عندك رسالة لزوجك؟»

فتنفست شارلوت بعمق وقالت:

«لا بد. لا يوجد عندي رسالة».

وتردّد جورج وهو يقول:

«هل انت متأكدة؟»

ووقفت شارلوت وأجابته:

«بالطبع متأكدة».

وأطرق رأسه متوجهاً نحو الدرج وقال:

«حسناً سيدتي. ولا شك أن زوجك سيطلعك على آخر التطورات لدى حدوثها».

فأمسكت شارلوت بالمنضدة وقالت:

«كم... من... الوقت يتوقع أليكس أن يتغيب؟ وقتاً طويلاً؟»

فهز جورج رأسه وقال:

«في هذه الحالة، ثلاثة أسابيع أو أربعة، لا أعلم. يتوقف الى أين توصل ستينر بمحادثاته».

«وعملية الاندماج هذه، هل هي مهمة؟»

«آه، بالطبع سيدتي».

«ولكن لماذا؟ لماذا؟ ألا يكفيه ما عنده من المال؟»

«اندماج الشركات لا يجلب المال. على الأقل ليس بالطريقة التي تعنينها. هذه المحادثات ستنتج عن شيء أهم بكثير. ستخلق الأعمال لعدد كبير من الناس».

«عمل؟»

«نعم، عمل. هذه الشركة في نيويورك مفلسة».

وشعرت شارلوت بالتشوّش وقالت:

«ولماذا يريد أليكس الاندماج مع شركة مفلسة؟»

وحاول جورج أن يكون صبوراً وأجاب:

«صعوبة الوضع الاقتصادي يسبب في افلاس العديد من الشركات، ولكن في هذه الحالة هناك ترخيصات قيمّة بالاستيراد والتصدير نستطيع استعمالها. وبالتالي فالناس الذين يعملون لهذه الشركة لا يخسرون وظائفهم».

وتنهدت شارلوت وقالت:

«لم يخطر لي أن أليكس قد يهتم على أي حال».

فاحتبس نفسه وقال:

«زوجك يهتم. وهو يهتم بكل انسان في عمله. ولماذا تظنين أنّ أعداءه كثر، اذاً؟ لأن موظفيه يحبونه، وهذا ما يتمنّاه الكثيرون من الرجال».

وشعرت بالخجل لانفجار جورج وبوجوب الدفاع عن نفسها وقالت:

«أنا أعرف القليل عن أعمال زوجي وموظفيه».

فتابع جورج وهو يستند الى المائدة:

«سيدتي، عندما قتل والد زوجك نزلت أسهم شركة فولكنر بشكل رهيب، وهذا طبيعي. ستيفن فولكنر كان ذكياً جداً، وكان أليكس لا يتعدى الرابعة والعشرين من عمره، شاباً صغيراً. صحيح أنه تدرّب على الاقتصاد ولكن هذا كل شيء. ومع ذلك خلال خمسة عشر عاماً لم يكتف أليكس بتحصيل أرقام والده وانما تجاوزها، وبذلك حصل على احترام كل من في العمل. كنا شركة شحن، والآن عندنا مصالح في فنادق وشركات طيران ووكلاء سفر وبترول وجرائد يومية، هل تعلمين كم عدد موظفينا؟»

وتكتفت شارلوت قائلة:

«أوه، لا، لا. قلت لك أنا لا أعرف شيئاً عن أعمال أليكس. لا علاقة لي بذلك».

فأجابها بحدّة:

«اذاً، يجب أن تهتمي أكثر».

فتوسّعت عينا شارلوت بكبرياء.

فأضاف جورج قائلاً:

«أنا آسف. ولكني كنت أعمل عند ستيفن فولكنر وكنت معه يوم مقتله. لحقت به عندما خرج من الفندق في باريس حيث أطلق عليه الرصاص، ولذلك لا أسامح نفسي على ذلك، لماذا لم أخرج قبله، وبالتالي مشاعري لأليكس تماماً كمشاعر أي أب لأبنه».

فحدّقت به شارلوت وهي تعلم أنه عنى كل كلمة مما قال، ولكن كيف

تشرح له موقفها؟ كيف تخبره أنه ما من فائدة في أن تتدخل في أعمال فولكنر في حين أنها خلال سنة أو ثمانية أشهر ستصبح امرأة حرة مرة أخرى؟ ولم تهتم في أي حال؟

وأجابت جورج:

«لا يمكنك أن تلوم نفسك على مقتل والد أليكس، أعني حتى لو خرجت من الفندق قبله، فمن المؤكد أن القتلة كانوا يعرفون تماماً من هو السيد فولكنر»

أجابها:

«طبعاً هذا ما أعزّي به نفسي دائماً، وأليكس قال لي ذلك. ولكن لا يمكن الغاء الشك نهائياً ولهذا أستحثك على ألاّ تتصرفي بشكل طفولي، فلا يمكن أن تسير الأمور كما يحلو لك دائماً».

«كما يحلو لي؟ وماذا تعني بذلك؟»

«سيدتي، الحياة قصيرة لأن نفكر بعقل محدود. أن ترفضي كتابة رسالة الى زوجك أو كلمة حلوة. أنا أعلم أنك منزعجة منه وتفضلين لو كان هو الآن بدلاً مني، وأنا كنت أتمنىّ ذلك ولكن هذا ليس ممكناً. ويجب أن أضيف أن والدة أليكس كانت تذهب مع زوجها الى كل مكان وربما يجب أن تفكّري بنفس الطريقة».

«الآن، انتظر لحظة».

لم تكن لتسمح له بأن يلقي كلماته جزافاً ويمشي، ولكنه كان قد وصل الى الدرج ودخلت ماريا فكتفَت يديها بعصبية ولحقت بهما عبر الدهليز الى الشرفة. وكان بانتظارهما رجل يوناني آخر عرّفها به جورج على أنه الطيّار، على الرغم من أنه لم يرتد أي لباس رسمي.

ربت جورج على كتف الشاب الذي نهض ومشى باتجاه الهيليكوبتر. واستدار جورج الى شارلوت وقال لها:

«لا تغضبي كثيراً، فكلّنا نرتكب أخطاء».

وأجابته:

«لم يطلب أليكس مني أن أذهب معه الى نيويورك».

وتساءل بجفاء:

«وهل الزوجات بحاجة الى دعوة؟ يجب أن أذهب الآن».

وابتعد عنها ليصعد الى الهيليكوبتر وراقبته شارلوت والطائرة ترتفع في الجو بشعور من الغيظ المختلط بشعور الشلل. ولما عادت الى الفيللا وجدت

ماريا بانتظارها.

وسألتها في الحال:

«هل السيد ألكسندروس بخير؟»

وتنهّدت شارلوت مجيبة:

«نعم ماريا، انه بخير ولكنه لن يعود لفترة».

«أوه، سيدتي».

وكان تعاطف ماريا بمثابة سحب صمام الامان لها، وكم تمنّت لو كان بامكانها أن تبكي، لكي تطيّب ماريا من خاطرها، لأنها ستظن أن سبب حزن شارلوت هو الاخبار التي جلبها جورج.

ولكنها لم تكن قادرة على خداع المرأة العجوز، ولو أنه أزعجها موقف جورج، ولكن الدموع التي رغبت بذرفها كانت بسبب أشياء معقدة أكثر، ومنها ما لم تفهمه هي نفسها.

وتقبّلت مواساة ماريا بعينين جافتين وذهبت الى غرفتها لتحضر نفسها للمحنة الثانية في ذلك اليوم. كان منزل ألني فولكنر كوخاً صغيراً بين المنحدرات يطل على خليج صخري، محاطاً بحديقة جميلة مليئة بالورود والازهار، منها كانت تعرفه والبعض الآخر لم تعرف نوعه. كان البيت مبنياً من الحجر المدهون باللون الأبيض يشعّ تحت أشعة الشمس.

استمتعت شارلوت بالرحلة عبر الجزيرة حيث تمكّنت من رؤية الكثير من المعالم وهي تركب العربة. المعالم التي افتقدتها وهي سائرة على الأقدام وصممت أن تبعد كل الأفكار المشوّشة عن تفكيرها. وسرّت بكون السائق ياني لا يتكلم الانكليزية بطلاقة مما عنى لها أنه يتوجب عليها إجابة الاسئلة عن أليكس طوال الطريق.

ورفع النسيم تنورة شارلوت فوق ركبتيها وأنزلتها بسرعة. فكّرت شارلوت طويلاً بما ترتدي لزيارة جدّة أليكس، وأخيراً قررت أن ترتدي هذا الثوب الحريري الشفاف الكريم ذو الأكمام الطويلة العريضة والقبة المفتوحة. ورفعت شعرها لتشعر بالرطوبة. حقاً كانت تشعر بالرضى لدى فعلها شيئاً لا يريده أليكس ولكنه بالتأكيد لن يشعر بعدم الرضى لزيارتها لجدته والاعتناء الفائق الذي أظهرته بمظهرها.

كانت ألني فولكنر بانتظارها في غرفة رطبة. رافقت شارلوت الخادمة

العجوز، ذات النظرات المتفحّصة الودودة المحبة للإستطلاع. وخطر لشارلوت، ولم لا؟ طالما أنها كنة ألني. كانت جدة أليكس ترتدي أيضاً اللون الاسود كالمرّة السابقة، ولكنها وضعت مريولاً أبيض ووقفت في غرفتها الصغيرة المكتظة بالأثاث بكبرياء الملكة التي تتلقى مواطناً عندها. كانت الغرفة مليئة بالكراسي العالية والصغيرة والموائد والخزائن، وخزانة ضخمة مليئة بقطع الزجاج الغالية.

وبادرتها ألني:

«اذاً قدمت... لماذا لم تعلميني أن أليكس غادر الجزيرة؟»

وتملّمت شارلوت بعدم ارتياح وأجابتها:

«أظن أني لم أفكّر... ألم يعلمك هو؟»

«حسب ما فهمت أنه غادر بسرعة فكيف يمكنه اعلامي؟»

فهزّت شارلوت كتفيها محاولة عدم الارتباك وقالت:

«أنا آسفة».

«لا بأس أجلسي، اجلسي وسنتناول بعض المقبلات قبل الغداء».

وجلست شارلوت على طرف الكرسي الخشبي، وقدمت لها ألني عصيراً محلّياً ولكنه لذيذ الطعم، وبادرتها السؤال:

«وكيف تجدين الحياة بدون صحبة أليكس؟ وحيدة؟»

«لا بأس... في الحقيقة وصلني خبر منه هذا الصباح».

«من كونستاندس، أعرف ذلك».

«أنت تعرفين؟»

«طبعاً، فقد أتى لعندي قبل أن يذهب لرؤيتك. وجلب لي رسالة من ألكسندروس».

«فهمت الآن».

ولم ترتح شارلوت لهذا، اذاً أليكس يستطيع أن يكتب رسالة لجدته ولكنه عاجز عن أن يكتب لها. أثارها الموضوع بشكل غريب، وتابعت ألني:

«أظن أنه لم يكتب لك، أليس كذلك؟ انه لا يكتب. ولم يكن يوماً نشيطاً بالكتابة. انه يفضل استعمال الهاتف، ولكن كان هناك ما أراد قوله لي ولم يستطع أن ينقلها لي عن طريق جورج، صحيح أن جورج رجل جيد ولكنه ليس فرداً من العائلة.

وشربت شارلوت من العصير وقالت وهي تؤكد للمرأة العجوز:

«في الحقيقة هذا غير مهم. فلم يكن هنالك ما نريد أن نقوله لبعضنا».
ولشعورها بأن ما قالته قد يبدو غريباً تابعت قائلة:
«أقصد أنّ أي شيء نودّ قوله يمكن له الانتظار الى أن يعود أليكس».
وأجابتها ألني بحدّة:
«وهذا لن يكون لفترة طويلة اذا صح ما قاله أليكس في رسالته».
«مّا من شيء يمكنني فعله تجاه ذلك».
«أحقاً لا يمكنك أن تفعلي شيئاً؟ في أي حال أنا انسانة شكوكة، وأتساءل فيما لو لم يكن حفيدي يبقى خارج الجزيرة عن قصد».
وحتى تلك اللحظة لم تكن تلك الفكرة قد خطرت لشارلوت على الاطلاق. ولكنها بدأت تفكر بمنطق ومعقولية ما ذكرته ألني، هل هذا ممكن؟ ربما انه عندما اختلى لنفسه ليفكّر بما حصل خلال تلك الساعة وجد أن ما حصل لا يستحق كل هذا الجهد.
واحمرّ وجه شارلوت، ولكن مهما كانت شكوك ألني فما من أساس لها وقالت مجيبة وقد رفعت رأسها:
«لا أظن بأنك يجب أن تشغلي بالك بنا. أخبرني جورج كونستاندس أنه ما من أحد غيرَ أليكس يمكنه أن يعالج موضوع الاندماج بما أن ستينر مريض. هل هذا صحيح؟ وأعتقد أن آخر ما يحتاج اليه أليكس الآن، هو زوجة غيورة.»
وصفقت لها العجوز قائلة:
«برافو شارلوت، لا تقولي لي أن أهتمّ بشؤوني الخاصة ولا أتدخل بالآخرين، فحتى أنا لو أردت أن أعبّر عن ذلك، لما استطعت بطريقة أفضل من ذلك».
واحتقن وجه شارلوت قائلة:
«لم يكن هذا قصدي سيدتي».
«كلام فارغ. بالطبع كان هذا قصدك. لا تحاولي الآن أن تخربيها بالاعتذار. تعالي الآن نتناول طعام الغداء وأودّ أن تناديني تيته كما يناديني أليكس، سيدتي كلمة رسمية جداً»
ومما أشعر شارلوت بالارتياح أن ألني لم تسأل شارلوت أسئلة أخرى محرجة، فقد توقعت أن تسألها مثلاً كيف التقت بأليكس وكم من الزمن عرفته قبل الزواج، وهذا عادة نوع الاسئلة التي يهتم بها الاباء والاجداد ولكن ربما أن

أليكس قد اخترع لها قصة مقنعة. في أي حال مضت بقية الزيارة بدون مضايقات، وفي الواقع استمتعت شارلوت بالزيارة.

فبمجرد أن ابتعدت ألني عن الاسئلة الشخصية كانت قصصها مشوّقة، وخاصة أنها سافرت الى أكثر دول العالم، ولذلك كانت جعبتها مليئة بالقصص المسلية. وشعرت شارلوت بالامتعاض عندما أتت الخادمة لتعلن أن ياني بانتظارها لينقلها الى الفيللا.

وأصرّت ألني عليها وهي تغادر:

«ستأتين مرة ثانية أليس كذلك؟»

وابتسمت شارلوت وقالت:

«وبدون دعوة، شكراً لك».

فحيّتها ألني ودخلت الى بيتها.

٧ ـ زائرالليل

استرخت شارلوت على الكرسي في الشرفة محدّقة في السماء من خلال أوراق الدالية المتسلقة على الأعمدة. شعرت بالنعاس والتعب، بالرغم من عدم مضي بضع ساعات على استيقاظها. ولكنها مضى عليها اسبوع وهي تشعر بهذه الأعراض، وبما أن الطقس معتدل الآن أكثر من يوم وصولها لذا فليس من الممكن أن يكون تأثير الطقس.

تطلعت الى ساعة معصمها وعندها لاحظت التغيرّ في لون جلدها، بسبب السير عبر الجزيرة الى ألني والسباحة. فحتى في ذلك الوقت من العام كانت المياه أدفأ من مياه البحر في انكلترا في الصيف. بالاضافة الى كل ذلك فقد اكتست عظامها باللحم، نتيجة لتناول الطعام الجيد خلال هذه الفترة، وأدركت أنها لم تشعر بالنعاس والكسل الذي داهمها مؤخراً.

مضى على سفر أليكس ستة أسابيع ولم يصلها أي شيء منه غير تلك الزيارة الوحيدة من قبل جورج كونستاندس. وكم من مرة أكدت لنفسها أنها لا تهتم به وأنها لا تريده أن يعود ولكنها كانت تعرف في داخلها أنه مجرد تأخير، وعاجلاً أم آجلاً سيعود وإلاّ فلا معنى لوجودها ولم تكن قد نفّذت شروط العقد بعد، وكانت تتذكر أحياناً ما قالته جدته من أنه لا يريد العودة. وكان هذا يصعب تصديقه. ولم تفهم لمَ كانت تنزعج لدى تفكيرهابذلك، عدا عن أن الوقت هو الدواء الشافي للجروح،ربما مضي الوقت جعلها تنسى ما حصل في ذلك الصباح.

من المؤكد أن الموضوع ليس بهذا السوء وإلاّ لما استمرّ الناس بانجاب الأطفال بحماس، ومع ذلك كانت ترتعد لدى تذكرها لما حدث.

وسمعت بخطوات خلفها فاستدارت وكانت تينا قد أحضرت لها الشوكولاته

لأنها أصبحت تكره القهوة مؤخراً فابتسمت ونهضت من الكرسي فشعرت بالدوخان والرغبة في القيء وشحب لونها.

وضعت تينا الشوكولاته على المنضدة وأسرعت الى جانب شارلوت متسائلة:

«سيدتي، هل تشعرين بالتعب؟»

خفّ الزوغان وتطلّعت شارلوت الى وجه تينا وقالت:

«أنا...أنا بخير تينا.»

ومسحت جبينها الرطب بيدها وتابعت:

«لا أعلم ماذا حدث لي، شعرت بالدوخان للحظة، أظن أنها الشمس فقد أمضيت وقتاً طويلاً هنا. سأتناول الشوكولاته في الصالون.»

وكانت تينا تنظر اليها بقلق وقالت:

«هل أحضر لك شيئاً؟»

«يا الهي، لا.»

ونهضت شارلوت بعصبية وحمدت ربها أنها بخير، وتلاشى الشعور بالدوخان. وجلست شارلوت على إحدى الأرائك في الصالون حيث كان الجو لطيفاً.

وأحضرت تينا الشوكولاته الى جانبها وقالت:

«هل أنت متأكدة أنك لا تريدين أن أنادي ماريا؟»

وهزّت شارلوت رأسها قائلة:

«أنا متأكدة.»

وابتسمت متابعة:

«حقاً أنا بحالة جيدة. ربما وزني زاد كثيراً بعد كل هذا الطعام الجيد الذي تقدمونه لي.»

وهزّت تينا رأسها بالنفي وقالت:

«لا. سيدتي.»

وانصرفت.

لم تستطع شارلوت أن تتناسى ما حصل بسهولة، فقد كانت تراودها شكوك، هل من المعقول أن هناك ما يسبب هذا الدوخان وهذا الكره لبعض الاشياء التي كانت تحبها، لم تكن حمقاء ولكنها فتاة غير متمرسة على التصرف بأمر لا يمكنها

تصديقه: وتلمست بطنها، لم تشعر بشيء ولكن ماذا يمكن أن تشعر بعد ستة أسابيع؟ وانتابتها رعشة بعد أن كانت تحس بالحرارة. هل يمكن أن تكون حاملاً؟ هل يمكن أن يحدث الحمل هكذا؟ فارتجفت ركبتاها. شعرت بالخوف وما من أحد لتعبر له عن خوفها. كانت غلطتها أنها لم تدرك ذلك مبكراً. وكان يصعب عليها تصديق وجود حمل نتيجة لذلك. فكرت بالافصاح عن مخاوفها لألني ولكنها استبعدت الفكرة، فبالرغم من أنها تحب العجوز وتحترمها، ولكنها ما زالت جدة أليكس ولا يمكنها مناقشة مثل هذا الأمر معها. فالموضوع شخصي ويصعب عليها مناقشته مع أي انسان ولكن بالنتيجة عليها مناقشته.

وبدأت تتساءل وهي تصب المزيد من الشوكولاته بدون شعور:

ماذا يفعل الانسان في ليدروس اذا مرض؟ ماذا يفعل لو أراد رؤية طبيب؟ فلم تعتقد أن هناك طبيب في الجزيرة. ولكن من المؤكد أنه من الصعب على المريض أن يسافر الى بيريوس ليتلق العلاج اللازم. وقطبت شارلوت وهي تفكر، ربما عليها أن تسأل احدى الفتيات لأن ماريا ستتوقع ما تحاول شارلوت اخفاؤه.

توجّهت شارلوت بعد الغداء الى غرفتها حيث اعتادت أن ترتاح لمدة ساعة بعد الغداء اذا لم تكن خارجة، وأدركت الآن لماذا شعرت بالنعاس مؤخراً ونامت أكثر مما قرأت.

ولكن اليوم كان تفكيرها مشغولاً فلم تنم، فقد خطرت لها كل الاحتمالات وحدّقت في السقف وهي تتساءل عما تكون ردة فعل أليكس. وقطبت عندما أدركت أنه سيفرح بالطبع، فهذا ما أراده، والآن أصبح هناك معنى لوجودها، وكانت المسألة مجرد وقت وسيحصل على الوريث.

وبدأت تتلمس بطنها من جديد، هل من المعقول؟ وانتابها شعور بالرضى، انها قادرة على أن تصبح أماً.

لا بدّ أنها استغرقت في غفوة لأنها استيقظت في ساعة متأخرة من بعد الظهر، وحاولت النهوض فشعرت بنفس الأعراض التي انتابتها في الصباح على الشرفة وأحست برغبة في القيء فهدأت نفسها حتى غاب شعورها بالدوخة ومن ثم جلست، لا بد أنه دليل آخر على صحة شكوكها.

استحمت وغيرّت ثيابها وارتدت ثوباً قطنياً أخضر ونزلت الى الشرفة، ولدهشتها وجدت ألني بانتظارها. ولم يكن هناك موعد لرؤيتها اليوم وللحظة توقّعت أن ألني سمعت بعض الاخبار عن أليكس، وارتجفت شفتاها. هل

حصل شيء يا ترى؟

كانت ألني هادئة وتعابيرها طبيعية واستدارت الى شارلوت وقالت:
«هذا أنت اذاً، يبدو أنك تنامين متأخرة بعد الظهر هذه الأيام.»

فاحمرّ وجه شارلوت وقالت:
«إنه الكسل يا تيته، هل قدّمت لك ماريا الشاي؟»
«شاي؟ لا. لا أريد الشاي. أنا أتيت لأن ماريا أخبرتني بأنك لم تكوني على ما يرام في الصباح اليوم.»

وتفاجأت شارلوت.
«آه فهمت.»

وتطلّعت اليها ألني متفحصة وقالت:
«ولكنك تبدين بخير الآن.»

وقالت شارلوت:
«أنا بخير. كانت بسيطة، ربما ضربة شمس خفيفة. ماريا تشغل نفسها أكثر من اللازم، والان هل تتناولين الشاي؟»

وأجابتها ألني:
«اذا كنت تصرين، لا بأس. ولكن هل أنت متأكدة، أنك بخير؟»
«أخبرتك أني بخير لا تقلقي كثيراً. ألم تشعري ولا مرة بوعكة بسيطة؟»

فارتاحت ألني وقالت:
«آه طبعاً. حسناً شارلوت، أنا آسفة ولكن رسالة ماريا بدت مستعجلة. بالاضافة الى أن الطقس جميل جداً وصعب علي أن أقضي بعد الظهر لوحدي.»

ومع ذلك تساءلت شارلوت عما كتبته ماريا لجدة أليكس ومدى شكهما. وكل ذلك جعلها تشعر بأنها لو طلبت طبيباً لأثارت ضجة وتعليقات.

وتقيأت شارلوت بشدّة في الصباح التالي بمجرد النهوض من السرير.تساءلت كيف يمكنها أن تخفي الأمر. ولسوء الحظ أن تينا دخلت الغرفة في نفس اللحظة. وفي لحظات أدركت تينا ما حدث وأصرّت على شارلوت أن تعود لسريرها وحاولت شارلوت الرفض بدون فائدة، وكانت تشعر بالضعف فلم تقاوم. ولم تدرك تماماً أن تينا قد ذهبت وعادت برائحة الليمون المنعشة لتغيير رائحة الجو، لأنها استلقت مرة ثانية بعد أن عاودها الشعور بالاقياء والرعب والوحدة.

وفتحت عيناها حيث شعرت بيد ماريا الباردة على جبينها ورأت نظراتها

القلقة. وتعاطف ماريا معها دفع الدموع الى عينيها. وهزّت ماريا رأسها وهي تلمس شعر شارلوت وسألتها:

«هل تشعرين بالتحسن الآن؟ ما من شيء يدفعك للبكاء فأنت تعرفين ما بك أليس كذلك؟»

وابتلعت شارلوت ريقها قائلة:

«نوعاً ما.»

«اذاً، لماذا تبكين؟ فليس هناك ما تبكين من أجله سيدتي.»

فسألتها شارلوت:

«ماذا...ماذا تعني؟»

ابتسمت ماريا قائلة:

«ألم ألد الكثير من الأطفال؟ أتظنين لا أعرف لماذا تتقيأ الفتاة؟ من المؤكد أن السيد ألكسندروس سيسر كثيراً وكذلك السيدة ألني، سأرسل في طلبها.»

وأجبرت شارلوت نفسها على الجلوس وأمسكت بيد ماريا وهي تقول:

«لا. ارجوك لا تخبريها ماريا، أنا سأخبرها بنفسي ولكن ليس الآن بعد».

«آه فهمت سيدتي، تريدين أن يعلم السيد ألكسندروس بنبأ ابنه أولاً. ولم لا؟ هذا ما يجب أن يحدث؟. سأقول لصوفيا لتذهب الى القرية وتخبر فيتوريو ليذهب الى أثينا ويرسل برقية...»

واستلقت شارلوت مرة ثانية وقالت:

«لا. أعني ليس هناك من حاجة. أليكس، أليكس سيعود قريباً ولا أريد أن أزعجه.»

وبدت الدهشة على ماريا وهي تقول:

«تزعجينه يا سيدتي؟ هذا ليس ازعاجاً. فلسنوات طويلة وجدّته تريد أن ترى ابن حفيدها. وستكون فرحة كلاهما عظيمة.»

وأدارت شارلوت رأسها وهي تتمتم:

«ولكني لست سعيدة.»

وأجابتها ماريا:

«ولكنك ستكونين. كلنا نتألم قليلاً في البداية.»

وأجابتها شارلوت بكبرياء:

«قليل من الالم والانزعاج، لماذا؟ هل يجب أن نتألم؟ لم يذهب الرجل ولا يشعر بشيء؟»

وأكدت لها ماريا بهدوء:

«ولكن هذه هي سنّة الحياة. استريحي قليلاً. وستشعرين بتحسّن خلال ساعة.»

وكان كلام ماريا صحيحاً. وبالرغم من أنها كانت متحسبة للنهوض في المرة الثانية، ولكن كل ما شعرت به كان فراغاً في معدتها تخلصّت منه بفنجان من الشاي والخبز، وبعدها كأن شيئاً لم يكن، مما أدهشها ورفع من معنوياتها. حتى بدت مخاوفها غير حقيقية.

وفي صباح الأيام التالية كانت تخاف لدى نهوضها، ولكنها تشعر بتحسن إذا تناولت بعضاً من البسكويت كما اقترحت عليها ماريا. واعتادت على هذه الاجراءات خلال اسبوع وبدأت تشعر بأن جسمها بدأ يتأقلم على حالته الجديدة.

وكانت قلقة بسبب غياب أليكس، وبدأت تقتنع بما ذكرته ألني عن غيابه المقصود، ولكن لماذا؟

ما السبب الذي يدفعه لمثل هذا الاجراء؟ ولماذا لم ترسل برقية بالخبر كما اقترحت عليها ماريا؟ وبدا على ماريا عدم الرضى عن تصرف شارلوت بشأن هذا الأمر. ولكنها لم تقدّر صعوبة موقف شارلوت.

وفي إحدى الامسيات بعد ان استلقت شارلوت في سريرها سمعت صوت الزورق البخاري، ورفعت رأسها محاولة سماع الصوت. وخطر لها احتمال قدوم بعض الارهابيين ولكنها استبعدت الفكرة، فبالتأكيد لم تكن الوحيدة التي سمعت الصوت، بالاضافة الى أن القرية أقرب الى القنوات ومع ذلك فقد كانت قلقة وتتساءل من يكون. ففكّرت باحتمال قدوم أليكس ولكنها استدركت نفسها لأنه يستعمل الهيليكوبتر دائماً، بالاضافة الى رسالة ليخبرها بقدومه.

وتوقفت المحركات وعاد الهدوء الى الليل. وتنهّدت شارلوت، وأياً كان القادم فلا يمكن أن يتوقع منها أن تكون مستيقظة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، فقد كانت الساعة حوالى الثانية عشرة.

بالطبع قد يكون جورج كونستاندس آتياً ليخبرها بموعد عودة أليكس. وتقلّصت معدتها لدى تذكرها ما عليها أن تخبر أليكس لدى عودته ولكنها لم ترغب باخباره.

واستدارت مرة ثانية على ظهرها وأبعدت الأغطية فالطقس دافىء ولم تشعر بحاجة للأغطية، أكثر من ثوب النوم الذي ترتديه وحملقت في الظلام. هل سيخبرها أحد لو كان جورج كونستاندس هو القادم؟ أم أنه سينتظرها حتى الصباح؟ وتقلّبت بضيق. ودفعها حب الاستطلاع لتشعر برغبة بالنهوض لتتأكد

بنفسها.

ولم تسمع أية أصوات أخرى، فتساءلت فيما لو كانت مخطئة، ربما أنه الهواء القوي حمل أصواتاً من القرية. وقفزت عندما فتح أحدهم باب غرفة النوم ودخل شخص طويل عريض المنكبين وأغلق الباب خلفه، واستند اليه، وعرفت شارلوت من بالباب، وسألت بتردد:

«أ...أليكس؟»

وتنهّدت واقترب منها وأشعل النور بجانب السرير. وتمايل قليلاً عندما اقترب منها مما بدا عليه الاجهاد. عيناه حمراوان. ووجهه أنحف مما ألفت، وعلامات التعب واضحة عليه. وقد حلّ ربطة عنقه والازرار العلوية، وكانت بذلته مكرمشة من السفر الطويل.

ووضع يده على رقبته وسألها:

«هل أيقظتك؟ أنا آسف.»

وبدا عليها القلق أكثر مما توقعت، وسألته بتعجب وهي تتناول الثوب الحريري:

«لماذا لم تخبرني بموعد عودتك؟ هل أتى جورج معك؟ هل أتيت في الزورق؟»

«نعم أتيت في الزورق، وجورج لم يأت معي، وانما أتيت لوحدي.»

«لوحدك؟»

وبدت عليه علامات السخرية عندما ارتدت الثوب فوق فستان النوم وأجابها:

«نعم لوحدي. هل أنت بخير؟ ولا تقلقي فلن أطالبك بحقوقي الزوجية. فأنا متعب جداً.»

وحملقت شارلوت به بقلق:

«من الأفضل أن تجلس قبل أن تنهار. هل أحضر لك أي شيء؟ قهوة؟ أو ساندويش؟»

وتراخى أليكس على طرف السرير وهزّ رأسه قائلاً:

«لا، لا شيء، شكراً. فقد تناولت وجبة على الطائرة من ساعات قليلة.»

وأسند رأسه بين يديه متابعاً:

«إني بحاجة للنوم، هذا كل شيء.»

وحدّقت به محدثة نفسه :هذا ليس وقت الاسئلة أو الأجوبة. لأعرف لماذا اختار العودة بمفرده؟ ولماذا اختار أن يأتي الى غرفتها بدلاً من غرفته، إلاّ إذا أراد التأكد

من أنها ما زالت هناك.

وتعمّق تنفسه فاقتربت منه واذ به قد استغرق في نوم عميق.

وتساءلت: نائم...وهنا، في سريرها.

فهزّت رأسها وهي تحدّق به، وبما أنه لم يبد أي علامة عدائية بدأت بخلع سترته ووضعت رأسه على الوسادة. ودفن رأسه في الوسائد بدون أن يفتح عينيه. ووقفت شارلوت مترددة وما زالت تحمل سترته ومن ثم ألقت به على الكرسي وساعدته على خلع حذاءه ووضعته تحت السرير وفكّرت قبل أن تساعده على خلع بنطاله، ولكنها وجدت أنه من الواجب فعل ذلك وإلا سيشعر بالحرارة والضيق. وبالتأكيد إنه يرتدي ثياباً داخلية وما من ضير في ذلك، وأخيراً ساعدته على خلعه ووضعه مع السترة. ومن ثم جلست على الجانب الآخر من السرير وهي تفكّر بما قد تفعل. اذا ذهبت لتقضي الليلة في غرفته فسيعرف كل من في الفيللا أنها تركت أليكس في أول ليلة له في البيت. وبالاضافة ما من شيء قد يحدث، فأليكس متعباً ومنهكاً. وستستيقظ وترتدي ثيابها قبل أن يفتح عينيه في الصباح. وتنهّدت وأطفأت الضوء وخلعت الثوب الذي وضعته فوق ثوب نومها واستلقت على السرير بجانبه.

كان السرير عريضاً بحيث ترك مسافة كبيرة بينهما واستدارت الى جنبها وأغلقت عينيها. واستيقظت عندما شعرت بيده الثقيلة ملقاة على صدرها وتذكّرت ما حصل في الليلة الماضية، وحرّكت رأسها باضطراب على الوسادة لترى فيما لو كان مستيقظاً، ولكنه ما زال نائماً. إلاّ أنه خلع قميصه وألقاه بجانب السرير. وبدا الارتياح على وجهه اختفت خطوط الاعياء التي ظهرت على وجهه في الليلة السابقة.

وجوده بجانبها أشعرها بالأمان وأدركت مدى الارتياح الذي تشعر به عندما يكون قريباً منها، والسهولة التي يمكن أن تنسى بها كل القسوة التي مارسها معها. وبدأت تتحرك في السرير محاولة النهوض، ففتح عينيه وبدأت ترتجف فحدّق في عينيها وعانقها.

وقالت بخوف:

«أليكس...أرجوك.»

وقال:

«يا إلهي، شارلوت لماذا بقيت بعيداً كل هذه المدة؟»

ولم تجبه.

٨ - وريث العقد

قرع أحدهم الباب مما أعادها الى الحقيقة ورفعت الأغطية فوق كتفيها. ودخلت تينا تحمل صينية الشاي والبسكويت كالعادة. وتوقفت مندهشة لدى رؤيتها لسيدها في السرير بجانب سيدتها وبدا عليها ارتباك وقالت هامسة:
«آسفة سيدتي. أنا ... أنا لم أعرف أن السيد ألكسندروس قد عاد».
وابتعدت شارلوت الى طرف السرير وشعرت بالارتياح لعدم استيقاظ أليكس وقالت هامسة:
«ضعي الصينية هنا تينا وبامكانك أن تخبري ماريا أن السيد عاد أمس البارحة فجأة».
وقالت تينا وهي تومىء برأسها ووضعت الصينية وقالت:
«أمرك سيدتي».
وتطلّعت الى أليكس النائم وثم الى شارلوت التي شدّت الغطاء على صدرها وكرّرت:
«أمرك سيدتي».
وابتسمت وخرجت من الغرفة. وتناولت شارلوت البسكويت بعد خروج تينا، ومن الغريب أنها لم تشعر بالدوخة ذلك الصباح، ولمّا استطاعت أن تركّز تفكيرها بدأت تحدق بعيون مضطربة بأليكس. كان يجب أن تخبره أنه ليس بحاجة للمسها، فهي حامل ولم يعد من حاجة للتظاهر.
ولكن عوضاً عن ذلك ماذا فعلت؟ واحمرّ وجهها وهي تشعر بالذل. تعترف له بذلك؟ وفيا إذا لم تخبره فبالتأكيد ماريا ستخبره. شعرت بالقرف من نفسها وغادرت السرير وأسرعت بارتداء العباءة. وكان أليكس يتقلب في السرير

ودخلت الحمام.

ولدهشتها لم تجده عندما عادت من الحمام. ولم تعرف، هل تشعر بالسعادة أم بالأسف، ولمّا أدركت أنه ربما سيصادف ماريا في أي لحظة أسرعت بارتداء ثيابها. كان بنطالها ضيقاً وهي في خالتها، وارتدت بلوزة عريضة مع البنطال. تركت غرفتها وأسرعت الى القاعة حيث صادفت ماريا تبدّل الزهور. وتوقّفت المرأة العجوز لدى رؤية شارلوت بتشوق وقالت:

«أخبرتني تينا بعودة السيد ألكسندروس. من المؤكد أنك سعيدة جداً. ماذا قال لك عن...»

وأشارت الى بطن شارلوت.

ونظرت شارلوت الى خلفها وتأكدت أنه ما من أحد يسمعها وقالت بهدوء:

«أنه لا يعرف».

وأجابت ماريا بتعجب:

«لا يعرف؟»

«أنا..لا. لا لم أخبره».

وتنهّدت ماريا وهزّت رأسها وقالت:

«أنا لا أفهم. لماذا لا تخبرينه؟»

وغيّرت شارلوت وقفتها وقالت:

« ماريا، إن تسعة أشهر وقت طويل ومن الممكن أن يحدث أي شيء».

وأجابتها ماريا بحدّة:

«وربما يحدث فيما لو لم تخبريه».

«ماذا تعنين؟»

«آه، سيدتي، أنا أعرف السيد ألكسندروس منذ صغره. إنه رجل بكل معنى الكلمة، أليس كذلك؟ إنه بعيد عن المنزل منذ وقت طويل، سيدتي هل تفهمين ما أحاول أن أشرحه لك؟»

واحمرّ وجه شارلوت وهي تقول:

«نعم، نعم. أظن ذلك. ولكن لا تقلقي بهذا الشأن. تسعة أشهر...»

«سيدتي، ولكن تقديري انها ستة أشهر وبضعة أيام».

وتابعت ماريا:

«أنا لست عمياء وبامكاني أن أرى ولكن بعد أن قضيت فترة من الزمن هنا،

أرجو أن تفهمي أنه أصبح لك في قلبي معزة خاصة».

وجاءها صوت أليكس وهو يقول:

«وأنا سعيد لسماع ذلك».

وتقدّم منهما وحيّا ماريا ووضع يده على كتفها وقال:

«ماذا فعلت شارلوت حتى تقلقي بهذا الشكل».

وتطلّعت شارلوت التي احتبست أنفاسها ولكنّ جواب ماريا جاء مختلفاً بقولها:

«أنها لا تأكل جيداً، أظن أنها تفتقدك يا سيدي».

فنظر الى شارلوت التي تجنبت النظر في عينيه وقال:

«ها أنذا عدت».

وتردّد قبل أن يتابع:

«وأين ذلك الخبز الطازج اللذيذ والذي ما زلت أحلم به منذ أن غادرت؟»

واعتذرت ماريا لتذهب لتحضير طعام الافطار بعد أن رمقت شارلوت بنظرة موبّخة لاحظها أليكس. ومن ثم اتجهت شارلوت الى الشرفة لتبتعد عن زوجها ولكنه لحق بها. وتمشت الى خلف الفيللا وتطلعت خلفها فلم تره وراءها، فقد توقف مستنداً الى الباب مرتدياً بنطالاً قطنياً ضيقاً وصدارة كشفت عن صدره.

كان البارحة متعباً ومنهكاً وأحسّت بالعاطفة تجاهه، واليوم تشعر بالكراهية. فهذا الرجل الذي تزوجها ثمناً لديون أبيها وهمّه الوحيد هو الوريث. كيف نجح بهذه السهولة؟ وفي حقيقة نفسها كانت تتمنى لو أنه استغرق معه الأمر وقتاً أطول.

وشدّ عضلات كتفيه بتكاسل وقال:

«يناسبك هذا اللون البرونزي».

ولم تجبه شارلوت وتابع هو:

«ماذا كنت تفعلين في غيابي، هل شعرت بالملل؟»

وهزّت رأسها بالنفي: لا. لم تمل ولكنّها شعرت بالقلق في نهاية المدة ولها مبررها.

وأصبحت لهجته جافة بعض الشيء وقال:

«ما بك هل قرّرت ألاّ تتكلمي معي، أم ماذا؟»

وتنفست شارلوت بعمق واستدارت اليه قائلة:

«لا، بالطبع لا».

وقطّب أليكس قائلاً:

« شارلوت لا تضطرينا للعودة لنبدأ من جديد، فكلانا نعرف حق المعرفة أنه ما من مجال لذلك».

وانفجرت بعصبية:

«ألهذا السبب بقيت بعيداً؟»

وتنهّد قائلاً:

«لا. حسناً، ربما الى حد ما».

وتقدّم منها وتابع:

«بامكاني القول أن اندماج الشركة استغرق وقتاً أكثر مما توقعت فقد انتهينا من ذلك منذ اسبوعين فقط، ولكني لم أستطع العودة مباشرة».

وأجابته:

«ولماذا؟ هل هناك فتاة أخرى؟»

وأجابها بحدّة:

«لا.لا. لا يوجد أحد. أهذا رأيك بي شارلوت؟ يا إلهي».

واحمرّ وجهها وقالت:

«كنت أعني فقط..»

«أعرف ما تعنين ولكن في أي حال لا يوجد أحد أؤكد لك. ولكن يا إلهي أنت تعرفين نفسك تماماً كما أعرفك أنك قادرة على إذلال الرجل لتشعريه بأنه كلب وتذكّري كيف كنت قبل أن أذهب».

ودافعت عن نفسها:

«أنت آلمتني».

وهز رأسه بالايجاب:

«أعرف ذلك، أعرف ذلك ولكن ما من طريقة أخرى، وهل ظننت أن الأمر لم يؤلمني أيضاً؟ هناك أشياء كثيرة يجب أن تتعلميها عني شارلوت، أنا لست انساناً آلياً».

ورفعت رأسها قائلة:

«ألست كذلك؟»

«ماذا تريدين أن تقولي؟»

وتناقصت شجاعتها وهي تقول:

«أنا أحاول أن أقول... كان عندي شكوك. بشأن عودتك».

«نعم».

ولعقت شفتيها وقالت:

«لماذا؟»

وأجابها وقد شدّ على قبضتيه:

«بما أنك سألتني، سأجيبك. شارلوت ربما لن تصدّقيني ولكن شعرت بالأسف نحوك، بالأسف لما فعلتْ معك. صحيح أن أباك لا يستحق أكثر ولكن أنت ربما...»

وانفجرت شارلوت قائلة:

«أي أنسان يرتكب أخطاء، واذا كان والدي مقامراً مدمناً...»

وبرم أليكس شفَتيه بسخرية قائلاً:

«آه، نعم، صدّقيني كان مدمناً».

«حسناً... وأنت دفعته للانتحار».

وأجابها بعصبية واستدار بعنف:

« شارلوت، يا إلهي تلك لم تكن المرّة الأولى. كيف تطرقت لهذا الموضوع؟ أنا أردت أن أتكلم معك».

وشعرت شارلوت بالخوف وقالت:

«لا. انتظر. ماذا تعني؟ انها... لم تكن... المرة... الأولى؟»

وتنفس أليكس بعمق وقال:

«انسي الموضوع».

وفي تلك اللحظة دخلت تينا، وتقدم هو نحوها وقال:

«أنا سعيد برؤيتك مرّة ثانية يا تينا».

راداً على تحية الفتاة باللغة اليونانية وتابع:

«تعالي أعطني من هذا الخبز الطازج قبل أن أموت جوعاً».

وضحكت تينا ودخلت قبله الى الفيللا، في حين أن شارلوت اتجهت الى كرسيها في الشرفة ولكنها كانت قلقة بحيث لم تستطع الجلوس. كانت منزعجة وغاضبة وغير متأكدة مما كان يحاول أليكس أن يخبرها. ولكنّ شيئاً واحداً بدا

لها واضحاً، أن زيارته لها في الليلة الماضية لم تعن أنه أراد أن يتابع من حيث انتهى قبل أن يسافر. كان بامكانها أن توقظه عندما استغرق في النوم وتطلب منه أن يذهب الى غرفته وبالتالي لما كان حصل حادث الصباح.

ولكن ماذا كان ذلك سيغير في الموضوع؟ حاولت أن تناقش الأمر بنفسها. كان الموضوع متأخراً جداً، ولو أن أليكس لا يعرف ذلك. ربما يريدها أن تجهض. ووضعت يدها على بطنها بشعور من الحماية. لا. مهما حصل فلن تسمح بذلك. لن تسمح بذلك طالما أنه بامكانها أن تنجب طفلاً صحيحاً. لقد أصبح في داخلها مخلوق حي ولا يمكنها قتله. ولكن ماذا يمكنها أن تفعل؟ عاجلاً أو آجلاً سيعلم أليكس. وربما يجب أن تنتظر لتكتشف نواياه بالضبط وحدقت بمروج الليمون غير مدركة لجمال هذه الطبيعية في الخريف. ماذا كان يعني أليكس عن أبيها؟ لماذا لم يخبرها بالحقيقة؟ يجب أن يعلم أنه مهما فعل أبوها فانه ضعف وليس جريمة بعدم شعور بالمسؤولية. وشعرت بحاجتها للاستلقاء على كرسي الشرفة، وتوقعت أن يأتي أليكس ليبحث عنها بعد أن ينهي طعام افطاره، وكانت بالتالي تنوي متابعة الحديث معه، ولكنه لم يأت. وشعرت بالضيق ونهضت ودخلت الفيللا رافضة الاعتراف بأنها تبحث عنه.

كانت تينا تنظف المائدة وهي تغني لنفسها وسألتها شارلوت:

«أين زوجي؟»

وأشارت تينا الى باب غرفة المكتبة المغلق وقالت:

«انه هناك يا سيدتي».

وشعرت بالضيق من ابتسامة تينا التي صاحبت جوابها. ونزلت شارلوت الدرجات الى القاعة وهي تتساءل لماذا اختار زوجها أن يقضي أول يوم له في البيت في المكتبة، وفيما اذا كان يتوجب عليها ألاّ تتدخل بما لا يعنيها. واستدركت نفسها بأنه يعنيها. كان يعلم أنها ستأتي لينهيا حديثهما. أم أنه أراد مضايقتها؟ واستجمعت شجاعتها وفتحت باب المكتبة، واذا به يجلس الى المائدة الخشبية التي تحتل مركز الغرفة وقد فتح حقيبته ونشر الأوراق وبدا عليه أنه مشغول ونظر اليها لدى دخولها بضيق.

ووقفت شارلوت بالباب بتردد ولكنها لم تكن قادرة على التراجع ولذلك سألته:

«ماذا تفعل؟»

ودفع كرسيه الى الخلف ونهض واقفاً وقال:
«وما تظنيني أفعل؟»
وتابعت وهي تتلمس أنفها:
«تعمل على ما أعتقد».
وأجابها بلهجة ساخرة:
«حزرت من أول مرة. ماذا تريدين؟ هل هناك أي مشكلة؟»
وتسارع تنفسها وقالت:
«وهل يبدو كثيراً أن أتوقع القليل من صحبتك في أول يوم لك في البيت؟»
وحدّق بها أليكس قائلاً:
«أحقاً تريدين صحبتي؟ لم يكن هذا انطباعي الأول».
واحمرّ وجه شارلوت وقالت:
«آه. وما الفائدة؟»
واستدارت لتخرج ولكنه أسرع ممسكاً بذراعها وشدّها الى الغرفة وأغلق الباب.
وقال بهدوء وبدون سخرية:
«الآن، أنا أعمل لأن جورج سيصل خلال ساعة، وأود أن أحضر له هذه الارقام. كنت أنوي تحضيرها أمس البارحة ولكن أنت تعلمين أني لم أفعل».
وانفجرت به شارلوت قائلة:
«ولهذا عدت اذاً، لتحضير بعض الأرقام؟»
«بالاضافة الى عدّة أشياء أخرى، حاولت أن أخبرك...»
« وجورج قادم ليأخذ هذه الأرقام؟»
وتردد أليكس وقال:
«لا.لا. سيبقى لبضعة أيام».
«يبقى؟»
«نعم. هناك بعض التنظيم يجب أن نقوم به، ويمكننا أن نعمل هنا».
وشهقت شارلوت وقالت:
«حسب ما فهمت أنك لم ترغب أن تفعل ذلك فما الذي غيرّ عقلك؟»
«آه... شارلوت. يا إلهي شارلوت».
وتلمّس شعره وتابع:

«اسمعي، لم أكن أنوي البقاء هنا وقد أخبرتك بذلك والآن سأبقى».
وشدّت شارلوت على قبضتيها وارتجفت شفتاها وقالت:
«ماذا؟ أتعني أنك غيرت عقلك بسبب ما حدث في الصباح. حسناً... لا يتوجب عليك أن تزعج نفسك بي. ولا يتوجب عليك البقاء هنا».
ورفعت طرف بلوزتها الفضفاضة الطويلة لتريه كيف ضاق بنطالها، وتابعت بغضب:
«وزني يزداد أليكس. هل تعلم لماذا؟»
وحملق فيها أليكس وكأنه لم يصدّقها واقترب منها يحدّق بالمكان المغطى بالبلوزة.
وقال لها بلهجة غير متوازنة:
«هل تعنين أنك حامل؟»
وأجابته ببرود قائلة:
«اذاً، إذا لم أكن حاملاً، فهناك شيء غريب يحصل لي».
وقال لها أليكس بلهجة آمرة:
«لا تمزحي معي. يا إلهي، منذ متى وأنت تعرفين ذلك؟»
«اسبوعين أو ثلاثة».
«ثلاثة أسابيع. لماذا لم تخبريني؟»
«آه... أنا آسفة، لأنك لم تكن هنا يا سيدي».
فأمسك بذراعيها بقوة قائلاً:
«توقفي عن ذلك شارلوت. لي الحق بأن أعلم، أليس كذلك؟»
«حسناً. والآن تعرف. لا أحد غيرك يعرف وماريا وربما البنات».
«وجدتي؟»
«لا. طلبت من ماريا ألاّ تخبرها».
«لماذا؟»
وهزّت رأسها معترفة:
«لم أود أن يعرف أحد بالأمر».
وتنهّد أليكس بعمق:
«ولم لا. لم أحلم مطلقاً... لم يخطر لي».
وتوقف عن الكلام ثم تابع:

«وأنت؟ كيف تشعرين؟»

وبرمت شفتيها قائلة:

«أنا؟ آه. بحالة جيدة. لا أستطيع تناول القهوة وأتقيأ في الصباح اذا لم أتناول بسكويت قبل أن أنهض، وأشعر بالتعب من الوقوف. وعدا ذلك فأنا بحالة جيدة».

وهزها بلطف وبدا القلق في عينيه وهو يقول:

« شارلوت. شارلوت أرجوك».

وشعرت برغبة بأن تهدئه وتؤكد له. ولكن لماذا؟ لم تطلب منه أن يتزوجها أو أن يجلبها هنا ويجبرها على أن تحمل طفله. لقد فعل كل شيء لهدف، والآن كل ما يريده أن يتأكد من أن ابنه يتلقى الرعاية الكافية.

وأجابته بحدّة:

«اتركني لوحدي»

وشدّت نفسها من بين يديه.

«كيف تتوقعني أن أشعر؟ بالحنان والحب مثل الدجاجة. لا، لا، أنا لا أريد هذا المولود.»

لم يكن كل ما قالته صحيحاً ولكن كان هناك ما لا تستطيع أن تعترف به حتى لنفسها ولكن أليكس لم يعلم ذلك وتنهّد عائداً الى مقعده.

وأجابها ببرود:

«انت تعرفين شروط العقد».

فردّت بغضب:

«نعم، نعم أعرفهم، ولكني لم أوقّع على شيء، هل وقّعت؟»

واستدارت الى الباب وتابعت:

«أنا ذاهبة لعند جدتك. ولا تنتظرني على الغداء».

ولحق بها أليكس قائلاً:

«انتظري لحظة. لماذا أنت ذاهبة اليها؟ يجب ألاّ تذهبي لوحدك».

وأجابته بحدّة مشددة على كلماتها:

«في غيابك كان عليّ أن أفعل كل شيء بنفسي. بالاضافة الى أن جدتك لها الحق بأن تعرف أنّ حفيدها سيرزق بمولود، أليس كذلك؟»

«انتظريني حتى بعد الظهر وسآتي معك».

«ماذا؟ وهل تأملت طويلاً بالطريقة التي أثبت فيها رجولتك؟ لا، شكراً».
وضع أليكس يده على الباب يمنعها من الخروج وقال:
«بامكاني اثبات رجولتي معك في أي وقت أريد».
وارتجفت شارلوت ومن ثم أفلت الباب وتابع:
«والآن اخرجي من هنا ولكن لا تتركي الفيللا».
ولم تجبه شارلوت ولكنها كانت تنوي عدم اطاعته. حقاً انها زوجته، وأم طفله بدون ارادتها ولكنها ليست مستعبدة من قبله.
وشاهدت الهيليكوبتر تقترب من المنحدرات وهي في طريقها الى منزل ألني.
كان منزل ألني في الجهة الثانية من القرية، ولكنه كان من الأسهل الدوران حول الجزيرة عوضاً عن المشي في الطرق الصخرية الوعرة.
كان قد اصطحبها أليكس مرّة الى القرية وعرّفها على نانيا زوجة فيتوريو ولكنها منذ أن سافر لم ترغب التدخل في حياة موظفيه.
وصلت الى منزل ألني منهكة، فقد مضى عليها اسبوع منذ آخر مرة مشت فيها تلك المسافة، كان من الاسهل أن تطلب من ياني أن يحضر سيارته وينقلها ولكنها في ذلك اليوم لو فعلت ذلك لكانت جلبت انتباه أليكس وهذا ما لا تريده.
كانت ألني تعمل في الحديقة وهي ترتدي قفازين مطاطيين. ونظرت الى شارلوت بدهشة قائلة:
«ألم ترين الهيليكوبتر، ربما أنه ألكسندروس».
ومن ثم، لاحظت شحوب وجه شارلوت وتغيّرت ملامحها وقالت:
«ما بك، ما الخطب؟ هل أنت مريضة؟»
وهزّت شارلوت رأسها بالنفي وقالت:
«آوه، لا، لا أنا لست مريضة».
ووضعت يدها على جبينها الرطب وقالت:
«يبدو أني أعاني من ارتفاع في الحرارة».
وخلعت ألني قفازيها وأخذت شارلوت بيدها الى المنزل وقالت:
«ادخلي، ادخلي».
واستحثّت الفتاة لتتقدمها الى جو غرفة الجلوس اللطيف. وأمرت الخادمة بتينا بأن تجلب القهوة. ولكن شارلوت رفعت يدها بضعف وهي تقول:

«لا. لا أريد قهوة. شاي أو ماء».

ونظرت ألني باستغراب متعجبة وقالت:

«ماء؟»

وطلبت من الخادمة أن تجلب الشاي وانصرفت الخادمة بعد أن أومأت برأسها.

وتقدمت ألني من شارلوت وقالت بقلق وهي تهز رأسها:

« أليكس سيقلق عليك».

«لن يقلق لأني أخبرته أني قادمة الى هنا».

«أخبرته؟»

«نعم. أوه، لقد عاد بعد منتصف ليل البارحة. وهذا جورج في الهيليكوبتر».

ولفّت ألني يديها ونظرت الى زوجة حفيدها وقالت:

«اذا كان أليكس قد عاد بالأمس، فماذا تفعلين أنت هنا اليوم؟»

وقطبت جبينها وتابعت:

«هل تشاجرتما؟»

«تشاجرنا؟»

وشعرت شارلوت بالاقياء ومن ثم تابعت:

«شيء من هذا».

وبدا الضيق على ألني وسألت:

«لماذا؟ لماذا تشاجرتما؟ أنا متأكدة بأن أليكس سيفرح بكونه سيصبح أباً، ألم يفرح؟ أو أنك لم تخبريه؟»

وحملقت شارلوت فيها وقالت:

«أنت... تعرفين؟ ماذا أخبرتك ماريا؟»

« ماريا لم تخبرني بشيء. ولم أكن بحاجة. وقد توقعت ذلك عندما أرسلت ماريا في طلبي. فأنا عندي أولاد. شارلوت صحيح أني عجوز ولكني لست عمياء».

واستقامت شارلوت بجلستها في الكرسي وأجابت:

«على الأقل وفّرت عليّ اخبارك»

وسألتها ألني:

«ما الموضوع الآن شارلوت؟ هل أخبرت أليكس؟ اذا لم تخبريه يجب أن تفعلي».

ونظرت شارلوت الى الخادمة بتينا وهي تجلب الشاي وأجابت باختصار:
«نعم أخبرته».

الشاي في جزيرة ليدروس لم يكن الشاي نفسه الذي اعتادت شارلوت شربه في انكلترا. كان نوعاً من البابونج وبعض الحشائش الأخرى، ومع ذلك فقد اعتادت عليه والآن شعرت بالحاجة اليه. وتناولت اثنتين من البسكويت الطازج وبدأت تشعر بالتحسن. وتذكرت أنها لم تتناول طعام الافطار ذلك الصباح ولكنها فقدت شهيتها بعد وصول أليكس. وصبّت ألني الشاي وقد بدا عليها عدم الرضى.

ولمّا بدأت شارلوت تشعر بالتحسن سألتها:
«ما الأمر؟ ظننت أنك ترحبين بقدومي، وقد توقّعت أن تدعيني على الغداء».

ونظرت اليها ألني وقالت بنفاد صبر:
«يا ابنتي العزيزة، أنت تعرفين كم تسرني زيارتك، وبقاءك على الغداء، وسأقدّم لك كل ما عندي».

وحدّقت في الفراغ وتابعت:
«ولكن يجب أن تفهمي يا شارلوت أن أليكس حفيدي وأنا أحبه كثيراً، وأنت زوجته. واذا كنت انت غير سعيدة، فهو غير سعيد وهذا ما لا أحبه».

وتنهّدت شارلوت مجيبة:
«ولكنني لم أذكر اني غير سعيدة».
«لا، ولكن هذا واضح عليك، أليس كذلك؟ ولو لم تكوني منزعجة في بيتك لما أتيت هنا».
«تيته، أليكس أحضر معه بعض الأعمال وحضر جورج ليعمل معه. وأخبرني أليكس أن جورج سيبقى لعدّة أيام. ووجودي في الفيللا إزعاج».
«آه، فهمت الآن».

وبدا الارتياح على وجه ألني وتابعت:
«أنت غاضبة لأن أليكس يجلب معه العمل الى المنزل في حين أنكما لم تمضيا معاً سوى وقت محدود».

فتحت شارلوت فمها لتعترض ولكنها تراجعت. ولم لا تترك ألني تفكّر ذلك؟ ما الضرر في ذلك؟ على الأقل سيخفّف من قلقها. سترى فقط ما تريد رؤيته في أي حال فان شارلوت وحدها تعرف الحقيقة وكذلك أليكس

بالطبع، وسألت:

«هل يمكنني البقاء على الغداء اليوم الآن؟»

وأومأت ألني بالايجاب:

«لم لا؟ لم لا؟ رغم أنني أعرف أليكس، فانا متأكدة أنه سيحضر باحثاً عنك».

وعادت الابتسامة الى وجهها وتابعت:

«ربما لا تعرفين بعد أن أليكس رجل غيور».

اذا كانت ألني تحاول تهدئتها بهذه الكلمات فلم تصب الهدف. ولمجرد تخيّلها قدوم أليكس باحثاً عنها وردّة فعله، جعلها تشعر بالرهبة وكانت على وشك أن تغيّر رأيها بالبقاء.

٩ ـ رحلة الى أثينا

كانت ألني و شارلوت تشربان الشاي بعد الغداء عندما وصلت صوفيا، متعبة منهكة وذات وجه أحمر بسبب المشي السريع في ذلك اليوم الحار. وأحضرتها بتينا الى حيث تجلسان ونظرت اليها ألني بقلق وسألتها مقطّبة:

«ما الأمر؟»

وتطلّعت صوفيا بضيق باتجاه شارلوت الجالسة بارتياح على الأريكة وأدركت شارلوت ماذا كانت على وشك أن تقول، وقالت صوفيا بجفاء:

«السيد ألكسندروس أرسلني لأبحث عن زوجته، قلقنا عليها. وطلب منا السيد ألكسندروس البحث عنها في جميع انحاء الفيللا».

واستدارت ألني باتجاه شارلوت متسائلة:

«ظننت أن ألكسندروس يعرف أين أنت؟»

«أخبرته».

وضعت شارلوت فنجان الشاي وهمّت بالنهوض فاستوقفتها ألني بقولها:

«انتظري. ماذا تفعلين؟»

وتنهّدت شارلوت.

«ظننت أنك تتوقعين ذهابي مع صوفيا».

وهزّت ألني رأسها بالنفي وقالت:

«لا تكوني حمقاء، لا يمكنك أن تذهبي بعد الغداء مباشرة ـ وبالاضافة الى ذلك ـ واستدارت الى صوفيا ـ لماذا لم يأت السيد ألكسندروس بنفسه؟»

«انه يعمل سيدتي، السيد كونستاندس هنا، وهما يعملان منذ الصباح».

وأجابت ألني بحدة:

«اذاً لا يمكنه أن يتوقع من زوجته أن تنتظره حتى تجد وقتاً لتتكلم معه. اخبري سيدك ان زوجته بخير، وسأقوم بتأمينها الى البيت».

«نعم سيدتي».

ورمقت صوفيا شارلوت باحدى نظراتها العدائية.

وأمرت ألني خادمتها بتينا بأن تعطي صوفيا كأساً من العصير قبل أن تغادر. وبعد مغادرتها أخذت شارلوت تغير جلستها بعدم ارتياح وتمتمت لنفسها:

«لماذا تكرهني هذه الفتاة بهذا الشكل؟»

وسمعتها ألني وأجابت:

«كانت والدة صوفيا تعمل في الفيللا عندما كانت صوفيا طفلة. وكان ألكسندروس شاباً بالطبع وكان يلعب معها عندما تحضر مع والدتها. أحبّها كما أحب كل الأطفال. ولكن صوفيا لا تنظر الى الأمر بهذه الطريقة. لقد عبدته وما زالت. وهي تغار منك، هذا كل شيء، ولم لا؟ فأنت أصغر منها. ربما عندما تدرك أنك ستصبحين أماً لطفل أليكس ستتقبلك».

وشكّكت شارلوت بذلك، بالاضافة الى أنه بعد الولادة سترحل. من سيحضر أليكس يا ترى ليرعى الطفل؟ وفكّرت أنها ربما تكون صوفيا وأزعجتها الفكرة ولم تستطع تقبلها. وتوقّفت المحادثة لبضع دقائق، فلاحظت شارلوت أن رأس ألني يتمايل لأنها استغرقت بالنوم. وشعرت هي بالتعب ولكن لا يمكنها الراحة وعليها أن تغادر بعد قليل لتذهب وتواجه مضايقات أليكس لأنّها تجرأت على عدم اطاعته.

كانت بتينا تحضرّ لهما الشاي بعد الظهر حوال الساعة الرابعة والنصف وطلبت منها ألني أن تخبر ياني بأن يحضر نفسه لينقل شارلوت الى الفيللا واذ بصوت محركات الهيليكوبتر يبدد الهدوء. وشعرت شارلوت بجفاف في حلقها لأنها ظنّت بأن أليكس يغادر الجزيرة بدون حتى كلمة وداع. ألم يستطع انتظارها حتى تعود على الأقل؟ وشعرت في اعماقها أنها لا تريده أن يرحل. ونظرت الى ألني التي كانت تحدّق فيها بقلق. ولكن ازدادت الضجة ونهضت شارلوت وتوجّهت الى النافذة. وشاهدت الهيليكوبتر تحط على المنحدرات على بعد خطوات من المنزل وشاهدت أليكس يقود الطائرة.

واستدارت الى ألني وقالت مؤكدة:

«انه أليكس».

وهدأت ألني وأمرت بتينا قائلة:

«احضري فنجاناً ثالثاً يبدو أنه عندنا زائر آخر».

وأسرع أليكس بدخول المنزل وعيناه مسمّرتان على شارلوت الواقفة بجانب النافذة. ومن ثم اتجّه الى جدّته وأخذ يدها وقبّل وجنتيها. ولاحظت شارلوت أنه بدلّ ثيابه وارتدى بذلة حريرية مع قميص مناسب، وهذا ما لا يرتديه عادة في الجزيرة.

وباشرته ألني بالكلام:

« ألكسندروس، كيف حالك؟ مضى وقت طويل على غيابك».

واعتدل أليكس في وقفته وهو يرمق شارلوت ببرود وأفلت أصابعه من جدته واعتذر بدون حماس قائلاً:

«أنا آسف ولكن الموقف كان معقّداً أكثر مما توقعت».

وأجابت ألني غير مدركة أن أليكس ما زال يحدّق بشارلوت يجرّدها من أسلحة الدفاع تجاه غضبه.

«وها أنت عدت الآن وهذا المهم».

واستدار أليكس الى جدته وقال:

«لن أبقى هنا طويلاً».

ونظرت اليه ألني محدّقة بقلق وقالت:

«لن تبقى؟»

واستدارت على شارلوت وقالت:

«ما هذا؟»

وهزّت شارلوت كتفيها قائلة:

«لا أعلم».

وأجابها أليكس بقصد إذلالها قائلاً:

«بالطبع تعرفين. لماذا لم تخبري جدّتي بالحقيقة؟ لماذا لم تقولي لها أنك لا تريدينني هنا؟ وأن زواجنا كان خطأ وانت تفضلين أن تكوني حرة».

وابتلعت شارلوت ريقها وقالت:

«أنا... هذا ليس صحيحاً».

واحمرّ وجهها ونظرت الى ألني وتابعت:

«لا أعلم لماذا يقول مثل هذه الاشياء لمجرد أني غادرت الفيللا بدون إذنه؟»

ونظر أليكس في عينيها وقال بقسوة:

«وما تبقى؟»

ونهضت ألني على قدميها لتواجهها وقالت:

« ألكسندرو، ألكسندرو، أرجوك. انتما تتصرفان كالأطفال. من الطبيعي بعد هذا الغياب الطويل أن تجدا صعوبة في الاعتياد على بعضكما. شارلوت اعتادت أن تفعل كل شيء كما يحلو لها ولا يمكنك أن تتوقّع الآن بمجيئك أن تطلب منها أشياء بدون تعليل».

وتمتم أليكس بقسوة:

« شارلوت حامل ويجب ألاّ تقطع هذه المسافة سيراً على الأقدام».

«أنا أعرف وهي تعرف ذلك، لأنها وصلت منهكة. ولكن هذا ليس سبباً كافياً لتفقد عقلك».

وأجاب:

«أنت لا تفهمينني يا جدتي».

«ألا تظن ذلك؟ ربما لا أفهمك، ولكن في حالة شارلوت يجب ألاّ تغضب لمجرد أنها أظهرت بعض الاستقلالية».

وتمتم أليكس بضيق:

«استقلالية، أنا طلبت منها ألاّ تبتعد عن الفيللا».

وانفجرت شارلوت:

«أنا لست طفلة».

وقالت ألني بهدوء:

«أقترح أن نجلس جميعنا لشرب الشاي وبعدها اذا أردت تأخذ زوجتك الى البيت بهذه الآلة، اذا توجب ذلك».

وأجاب أليكس:

«لم يكن هناك من وسيلة أخرى».

ومن ثم شربوا الشاي ولكن شارلوت لم تعتز بالشاي ولا تظن أن أليكس سرّ به أيضاً. ولكنه كان مهذباً مع جدته وهو يجيب أسئلتها عن نيويورك والعمل والطقس هناك. انه بارد ورطب وأنه من الممتع أن يعود الى الشمس مرة ثانية. ومن ثم أثارت ألني موضوع عيد الميلاد، وتذكّرت شارلوت انه لم

يتبق إلاّ أسابيع قليلة.

وقالت ألني:

« فرانكو بالطبع سيحضر الى هنا».

ومن ثم استدارت الى شارلوت وتابعت:

« فرانكو، أخي وهو أرمل يعيش في قرية قريبة من أثينا، ولكنه يحضر هنا دائماً من أجل عيد الميلاد، أليس كذلك يا ألكسندرو؟»

وكان أليكس يحاول أخذ اذن ألني بتدخين سيكار. لم تكن من عادته التدخين ولكنه عندما يدخن فيفضل السيكار. وتابعت ألني قائلة:

«فكّرا أن عيد الميلاد في العام القادم سيعني شيئاً، سيكون هناك طفل في عائلتنا مرة ثانية».

ونهضت شارلوت وأشاحت بوجهها، لأنها لم تستطع أن تتخيّل أين ستكون بعد اثني عشر شهراً.

كانت رحلة العودة الى الفيللا قصيرة وتمّت بصمت، وكان جورج بانتظارها عندما حطّت الطائرة، وفتح الباب لشارلوت وساعدها على الخروج من الهيليكوبتر وهو يعلّق على أنها تبدو بحالة جيدة. وأجبرت شارلوت نفسها على الابتسامة وقالت:

«أنا سعيدة برؤيتك مرة ثانية سيد كونستاندس».

وأصر على أن تناديه بجورج وهو يرافقها الى الفيللا. وتوجّهت شارلوت الى غرفة نومها ولم تستغرب عندما لحق بها أليكس وأغلق الباب واستند اليه يحدّق بها وقد لفّ ذراعيه وقال:

«حسناً؟»

ولم تجبه، ولكنها أخذت فرشاة الشعر وبدأت تمشط شعرها وتابع هو قائلاً:

«اذاً انت لست شجاعة».

وتنفّست شارلوت بعمق وقالت:

«لا أعلم ماذا تعني».

«لماذا لم تخبري جدتي، لماذا تزوجتك؟ لماذا لم تشتكي، أني أجبرتك على ذلك وكيف حتمت عليك أن تنفذي العقد الذي وقعه أبوك؟»

وجلست شارلوت على طرف السرير وقالت:

«لماذا يتوجب عليّ ذلك؟ لماذا يجب أن أذل نفسي بهذه الطريقة؟»

«كنت أهنتيني أكثر».

هزّت كتفيها وقالت:

«أحقاً؟ أنا... لا أود أن أجرح جدتك بهذه الطريقة. فانا أحبها كثيراً»

«ولكنك تودين الاجهاض أكثر».

فتوسّعت عيناها وأجابت:

«لا، لا، لا، لن أسمح لأحد».

وتضيّقت عينا أليكس وهو يقول:

«أنت قلت أنك لا تريدين المولود»

وأحنت شارلوت رأسها وهي تقول:

«لا أريده. ولكن لن أفعل ما يؤذيه».

«اذاً، لماذا مشيت مسافة ميلين عبر المنحدرات؟»

وتنهّدت شارلوت وقالت:

«لقد مشيت نفس المسافة عدة مرّات قبل ذلك».

وذكّرها بقسوة:

«ولكنها قالت انك وصلت منهكة».

«أنا... وصلت منهكة. معك حق ربما كنت حمقاء ولكن أنت... أنت دفعتني لفعل ذلك».

وتقدّم منها وجلس على طرف السرير بجانبها وقال:

«أنا دفعتك؟ كيف تلومينني؟»

وابتلعت شارلوت ريقها ـ كانت تخشى أن يلمسها لأنها ستضعف أمامه وهذا آخر ماتود فعله ـ ولذا ابتعدت عنه قليلاً، وقالت:

«لا يمكنك أن تتوقع مني أن أتصرّف كواحدة من موظفيك».

وتضيقت شفتاه وهو يجيبها:

«هل أنا أتوقع ذلك؟»

وأجابته:

«نعم أنت تتصوّر انه بامكانك أن تقول لي ماذا أفعل ومتى».

«أنا آسف. كنت فقط أفكّر بمصلحتك».

«تقصد بمصلحة المولود»

«حسناً، اذا كنت تريدين النظر الى الموضوع بهذه الطريقة».

وهزّت شارلوت كتفيها وقالت:
«أنا لست بحاجة لاهتمامك».
«اذاً أنت بحاجة لماذا؟»
«لا شيء. لا شيء».
وأمسك بكتفيها وهزّها وأدارها باتجاهه وقال:
«هل أنت متأكدة؟ لم يكن هذا انطباعي في الصباح».
وفتحت فمها من الدهشة وقالت:
«هذه وساخة منك، أن تقول ذلك».
«ولكن ألا تظنين؟ أعني أني أنا لم أعرف وضعك في حين أنك عرفت».
واستجمعت قوتها لتبعد نفسها عنه وقالت:
«حسناً، لا يمكنني أن أنكر أني استمتعت بذلك، ولكن أي رجل خبير بامكانه أن يؤثر على فتاة مثلي».
فنهض أليكس بعنف وقال:
«هكذا اذاً. لقد فهمت الموضوع».
ووضعت شارلوت يديها على أذنيها وقالت:
«آه، أرجوك لا تتابع. يمكنك أن تكون قاسياً. أليس كذلك؟ يا إلهي، أتمنى لو أني لم أتزوجك أبداً»
وأجابها بحدّة:
«ألا تظنين أنني أشعر بنفس الشعور أحياناً؟»
بعد ذلك قلّما شاهدت شارلوت زوجها بينما كان جورج في الفيللا، اللهمّ إلاّ في أوقات الوجبات. كانا يقضيا أكثر وقتهما في المكتبة، وبعض الوقت في الزوارق. ومرّة ذهبا برحلة في الهيليكوبتر وظنّت أنهما غادرا نهائياً، ولكنهما عادا في المساء وعادت الحياة الى مجراها الطبيعي. ولكن أليكس لم يحضر ولا مرّة واحدة الى غرفة نومها، بالرغم من أنها تمنّت أحياناً لو أنه فعل. وعلّلت ذلك لنفسها بأنه من الطبيعي أن تشعر بحاجتها اليه أحياناً. فالطفل الذي تحمله في بطنها هو ابنه. فلماذا لا يتحمّل بعضاً من القلق الذي تتحمّله لوحدها؟
بدا لها عيد الميلاد، وكل ما كان يعنيه لها في انكلترا، بعيداً آلاف الاميال، وبالرغم من أنها رغبت بارسال بعض البطاقات، تمنّت لو تسنح لها الفرصة ببعض التسوّق على الأقل لتشعر بعيد الميلاد، وذكرت الموضوع لألني في احدى

زياراتها للفيللا ونصحتها الأخيرة بأن تتحدث مع أليكس وقالت لها:
«صحيح أن أثينا ليست لندن، ولكن هناك بعض المخازن الممتازة، وأنا على يقين أنه بامكانك شراء كل ما تحتاجينه».
وشعرت شارلوت بأنها فكرة جيدة ولكن ذكر الموضوع لأليكس كان أمراً صعباً، ومع ذلك قررت أن تستجمع شجاعتها وتحدثه بالموضوع على الأقل لتقنع نفسها بأنها تجرأت على فعل شيء ما.
وفي ذلك اليوم فتحت الموضوع معه أثناء طعام العشاء.
وفكر بكلماتها ومن ثم أجابها:
«هل تريدين الذهاب الى أثينا؟ وهل يتوجب عليك ذلك؟»
وكانت مدركة لنظرات جورج المركزة عليها وأجابت باختصار:
«أنا لست مقعدة، وفي الواقع أنا بحال جيد جداً ولم أعد أشعر برغبة بالتقيوء في الصباح».
وأجابها وهو يتناول الخبز:
«حسناً، ومتى تودين الذهاب؟»
«في أسرع فرصة ممكنة».
وقطب أليكس وسألها:
«هل يرضيك أن تذهبي غداً؟»
وتوسعت عينا شارلوت وقالت:
«غداً، هذا رائع».
«حسناً».
ووجه الحديث الى جورج وهو يرفع ملعقة الشوربة:
«سنأخذ اجازة غداً. ليس عندك مانع أن تذهب مع زوجتي الى أثينا، أليس كذلك؟»
وتساءلت شارلوت:
« جورج؟ أعني ألا تود أن تصطحبني؟»
وأجابها أليكس:
«لا أعتقد أن هذا ضرورياً. عليّ بعض الأعمال أنهيها هنا ريثما يعود جورج».
كانت خيبة شارلوت عظيمة وضغطت على شفتيها وبدأت تحدق بصحنها

وكانت على وشك الانفجار بالبكاء وقالت:

«آوه ولكن...»

وقال جورج:

«من المؤكد أنه يمكنك أن تأخذ اجازة لمدة يوم وتذهب مع شارلوت الى أثينا، فحتماً تفضّل صحبتك عن صحبتي».

وأجابه بسخرية:

«هل تظن ذلك؟»

وتساءلت شارلوت عن مدى عمق علاقته بمساعده ومدى معرفة جورج عن طبيعة زواجها. ورفعت رأسها بكبرياء وقالت:

«أرجوك. لا فرق عندي سيد كونستاندس، أنا فقط شعرت بالأسف من أجلك لأنك أعطيت هذه المهمة البغيضة».

وأجابها جورج:

«انها ليست مهمة بغيضة، واسمي جورج. متى تودين الذهاب؟»

وهزّت كتفيها وقالت:

«هل يناسبك الساعة العاشرة؟»

«عظيم. سأنتظر ذلك بفارغ الصبر».

ولكنّ شارلوت لم تكن متحمسة كثيراً للرحلة لأنها كانت تخشى الطيران في حالتها. واذا كان لا بد من أن تتقيأ فهي تفضل لو كان أليكس معها، ولكن علّلت لنفسها بقولها، ربما أن جورج سيتعاطف معها أكثر من زوجها وبالطبع صبور أكثر.

ومع ذلك لم تتمكن من النوم تلك الليلة، فقد مضى عليها زمن طويل لم تتصل بانسان وكانت مرتبكة لمغادرة الجزيرة. استيقظت بعد الساعة السابعة واستحمّت وارتدت ثيابها قبل أن تدخل تينا لها صينية الشاي والبسكويت.

وقرّرت أن ترتدي ثوباً من اللون البيج والبرتقالي بحيث لا يتضارب لونه مع لون بشرتها وشعرها الأحمر، كان ثوبها فضفاضاً أخفى وضعها. ولم تكن لتشعر مسبقاً كم يتحسن شعور المرأة لارتدائها حذاءً عالياً أنيقاً. وبدأت تنظر الى نفسها في المرآة وأقتنعت بأنها تبدو جميلة بالرغم من الحمل.

ولمّا نزلت شارلوت وجدت أليكس يجلس الى المائدة وقد ارتدى بنطالاً وقميصاً من الجينز ووضع جاكيتاً مناسباً على ظهر الكرسي. كان يحرّك قهوته

ووقف لدى دخولها وتضيّقت عيناه وقال بسخرية:

«حسناً... أهذا كله من أجل جورج؟»

وتجاهلت شارلوت سخريته وجلست ورنّت الجرس لتينا وطلبت منها الخبز والشاي، وبعدها بدأت تشعر بأنها على استعداد لمواجهته أكثر. في حين أنه جلس بالرغم من أنه انتهى من فطوره وهو يراقب حركاتها.

وشعرت شارلوت بالضيق لتحديقه بها وسألته:

«أين السيد كونستاندس؟»

وأجابها أليكس بجفاء:

«صدّقي أو لا تصدّقي ولكن جورج متوعك»

«متوعك؟»

«انه مريض ولأشرح لك أكثر بوضوح انه غير قادر على تشغيل الهيليكوبتر».

لم تشعر شارلوت بخيبة الأمل الكبيرة ولكنها قالت:

«أنا... أنا آسفة. هل حالته سيئة؟»

«اذا كنت تريدين رأيي، لا أظن انه يعاني من أي شيء».

وأجابته شارلوت:

«لا يعاني من شيء. لا أفهم».

«آوه ظننت أنّ الأمر واضح لك. جورج يعتقد أنه اذا كان مريضاً فسأكون مضطراً لاصطحابك».

ودفعت شارلوت كرسيها الى الوراء وقالت:

«بامكانك تخييب أمله».

واستدارت لتغادر الغرفة.

ولكن أليكس نهض وأمسك بذراعها وقال لها:

«لا تغادري يا شارلوت، انت تبدين جميلة اليوم وبامكاني أن أفكّر بآلاف الاشياء لأعملها لك غير قيادة الهيليكوبتر، هل تفهميني؟»

وتسارع تنفسها وقالت:

«اتركني».

وسمعت الارتجاف في صوتها.

«اذا وعدتني بأن تجلسي وتتناولي فطورك. سأصطحبكَ الى أثينا ان أعجبك ذلك أم لا».

واحتجت عليه وهي تنظر اليه:

«أنا أردتك أن تذهب معي ولكنك رفضت».

«نعم. ولكني الآن غيرّت رأيي».

فأومأت بصمت، وترك يدها. وأمسك لها بكرسيها بينما وصلت تينا بالشاي والخبز ومن ثم اعتذر. فقدت شارلوت شهيتها حيث أدركت أنه ما عليه إلاّ أن يلمس يدها حتى تتحوّل الى كتلة أعصاب مرتعشة. ولكنها يجب أن تأكل قبل أن تذهب بالطائرة، فأبعدت عنها الأفكار المشوّشة وأجبرت نفسها على الأكل.

وعاد أليكس وقد دسّ يديه في جيبيه وقال:

«انها تمطر، ألا زلت تودّين الذهاب؟»

وأومأت رأسها قائلة:

«هل يمكننا؟»

«اذا كنت مستعدة بالطبع. احضري معطف مطر».

وقالت له بارتباك:

«أنا... سأذهب الى دورة المياه أولاً».

ولكنه كان طبيعياً وأجابها:

«سأراك خلال دقائق هنا».

وأومأت بارتياح.

توقّعت شارلوت أن يصطحبها فيتوريو و ديميتريوس ولكنّها عندما صعدت الى الهيليكوبتر وجدت أليكس بمفرده. وكان يرتدي جاكيتاً جلدياً أسود فوق الجينز وقد تجمّعت بعض نقاط الماء على شعره. وساعد شارلوت لتصعد الطائرة بدون أي كلمة.

ونظرت اليه شارلوت بتردد وهو يريها كيف تستعمل سماعات الرأس وقالت:

«ألن يأتي ديمتريوس معنا؟»

وأجابها أليكس:

«لا. هل توقّعت أن يأتي؟»

وتنهّدت شارلوت وقالت:

« أليكس أنت تعرف ماذا أعني؟ ألا يجب أن يوجد معنا أحد. أقصد يجب ألاّ تخاطر من أجلي».

وابتسم أليكس ووضع سماعات الرأس وقال لها:
«لا تتظاهري بكونك الزوجة القلقة الحريصة على زوجها في هذا الوقت المتأخر».
وتابع بجفاء:
«هل أنت مرتاحة؟»
«نعم».
«اذاً فلننطلق».

لم تكن الرحلة مريحة فقد كان المطر شديداً وكان الهواء يتلاعب بالهيليكوبتر. وغطّت الجزيرة تحتهم غمامة من البخار وقليل من الزوارق خاطرت بالخروج الى عرض البحر الغاضب.

لم يبد القلق على أليكس وكان يحادثها عن طريق سماعات الرأس ويشير الى الجزر الكبرى ويشرح لها بعضاً من تاريخهم. وعادت علاقتهما الى حيث كانت قبل مغادرته الى نيويورك، إلا أنهما لم يعودوا قادرين على مشاركة بعضهما تلك الصداقة البريئة، فعلاقتهما الآن أصبحت أعمق وأمتن نوعاً ما. وحاولت شارلوت أن تتناسى خفيفتها.

وحطّا بالهيليكوبتر في أحد نوادي الطيران بعيداً بعض الشيء عن المدينة وتناولا القهوة في حين أن أليكس اتصل يطلب السيارة.

ووصل السائق الذي نقلهم من المطار عندما وصلا من لندن، جاء بالسيارة السوداء الليموزين بعد الهاتف بقليل، ونقلهم الى المدينة.

وبرغم المطر أعجبت شارلوت بالهياكل الكلاسيكية على التلال، ووعدها أليكس أنه سيصطحبها لرؤية تلك الهياكل في المرّة القادمة التي يحضرون فيها الى أثينا.

أعجبها كلامه في المرّة القادمة ولكنها فكّرت أنه لو مضى ثلاثة أشهر أخرى قبل أن تحضر فلن تكون بحالة تسمح لها بالتجوّل في المناطق السياحية.

كان التسوّق متعباً برغم السيارة، لم تكن شارلوت معتادة على ازدحام الشوارع بالناس وأصوات أبواق السيارات، وشعرت بالتعب. كان أليكس الوجه الوحيد المألوف الذي رأته. وبعد أن أضاعته مرّة أمسك بذراعها وتمسّكت به بعد ذلك.

شعرت شارلوت بالبهجة لرؤية المخازن المزيّنة والاضواء الملوّنة والأيقونات المدهونة. بدا عيد الميلاد متشابهاً في جميع أنحاء العالم، وانتابتها

موجة من الحنين الى الوطن، فقد قضت عيد الميلاد الماضي مع والدها في التزلج على الجليد في النمسا، وعندها تذكّرت أنه قضى أكثر الليالي في الكازينو.

وتناولا طعام الغداء في أحد المطاعم المطلّة على ساحة كبيرة سمّيت ساحة سينداغما كما أخبرها أليكس. تألّفت وجبتها من القريدس المشوي والمصقعة الغنية بالدسم بالنسبة لشارلوت وانتهت الوجبة بالجبنة والتين، وكذلك كانت الجبنة قوية على شارلوت ولكن أليكس كان معتاداً على ذلك. وبدا عليه أنه استمتع بالطعام، وارتاحت الى حد كبير للمحادثة الودية بينهما. كان بعض الموسيقيين اليونانيين يعزفون الموسيقى اثناء الوجبة وكان الجو مشرقاً.

وبعد الظهر اشترت شارلوت بعض البطاقات وبعض الهدايا للخدم، وتركها أليكس للحظات ليتصل بالهاتف، وأثناء غيابه اشترت شالاً لجدته ألني واسطوانة موسيقية طويلة لأحد الفنانين المفضلين عند أليكس لتهديه اياها. لم يكن معها ما يكفي من النقود وبالرغم من أن أليكس أخبرها أنه عنده حساب مفتوح عند الكثير من المخازن ولكنها لم تقتنع باستعمال اسمه. كانا يتمشّيان بين الناس ما من أحد ميّزهما ولذلك لم تود أن تجلب الأنظار اليه، بالاضافة الى انها لم تود شراء هديته بنقوده. ووضعت مشترياتها في كيس بلاستيكي بعيداً عن أنظار أليكس، ولما اقترح عليها العودة كانت سعيدة بقبول اقتراحه.

كان يوماً طويلاً متعباً لها وتمنّت العودة الى بيتها. وتذكّرت من جديد كلمة بيت، يا لها من حمقاء، كيف يمكنها اعتبار ليدروس بيتاً لها في حين أنها ستغادرها خلال أشهر قليلة.

وبدت هادئة خلال رحلة العودة، تجيب على أسئلة أليكس باقتضاب.

وفي الواقع لم يكن ما خطر ببالها هو السبب الوحيد، وانما طعم الباذنجان كان قوياً في حلقها وكذلك طعم الجبنة. وبدأت تفكر بما قد تفعل فيما لو شعرت برغبة بالتقيؤ.

وبدأ يشعر أليكس بانزعاجها حوال نهاية الرحلة، فقد كان قبل ذلك مشغولاً بقيادة الهيليكوبتر ولم ينتبه لعدائيتها. ولما نظر اليها وشاهد شحوب وجهها، هزّ رأسه بضيق وقال:

«لماذا لم تخبريني؟ أنك تشعرين برغبة بالتقيؤ، أليس كذلك؟ يا إلهي. هل تظنين أني لا أشعر حتى أنك لا تتجرأين باخباري؟»

وتنهّدت شارلوت:

«وماذا كان يمكنك أن تفعل؟»

«كنت حططت في إحدى الجزر الأخرى، فهذه حالة طوارىء معروفة».

ونظرت شارلوت اليه بعين معتذرة وقالت:

«في الحقيقة، أنا أشعر بتحسن الآن. أظن أنه الباذنجان والجبنة».

وأصرّ عليها قائلاً:

«هل أنت متأكدة أنك تشعرين بالتحسن؟»

وأومأت شارلوت وهي تقول:

«سنحط قريباً، أليس كذلك؟»

«نعم. نعم».

ومن ثمّ ركّز أليكس تفكيره على القيادة وقال لها:

«في المستقبل تذكّري أنه عندي مصلحة مبطّنة للاهتمام بحالتك الصحية».

وفكّرت شارلوت بأنها تكرهه في تلك اللحظة. لم يهمها أنها ربما جرحته بعدم مشاركته بأمورها أو أنه فعلاً قلق عليها. فبالنسبة إليها هذه الجملة الجافة جاءت تلخيصاً لكل أسبابه في أي شيء فعله من أجلها.

١٠ ـ غيرة وهجر

وصل شقيق ألني قبل عيد الميلاد بيومين، ولكنه لم يكن وحيداً كانت حفيدته ترافقه. ايرينا كالاموس وهي فتاة يونانية جميلة، ربما أكبر من شارلوت عمراً بعام أو عامين. ذات شعر أسود طويل وعينين واسعتين وأهداب كثيفة سوداء. ككل النساء اليونانيات لم تكن تفضل ميل النساء الغربيات للنحالة فكانت ذات جسم ممتلىء وهذا ما أظهرته بوضوح ثيابها الضيقة.

بدت ايرينا معجبة بأليكس.

قابلت شارلوت الزوار يوم وصولهم، حيث طار ديميتريوس الى أثينا ليحضر فرانكو كالاموس لمنزل ألني وكان من المرتب أن يحضروا جميعاً فيما بعد للعشاء مع أليكس و شارلوت و جورج. ولما علم أليكس أنه بالاضافة الى شقيق جدته هناك ابنة خال من صلة بعيدة ترافق فرانكو فقرر أنه من المستحيل على ألني أن تستقبلهم في منزلها الصغير. وبالتالي وصل فرانكو و ايرينا من بعد ظهر ذلك اليوم شاكرين لأليكس اهتمامه.

ولما قابلت شارلوت لأول مرة ايرينا تمنّت لو أن أليكس سألها قبل أن يدعوها . لم يكن هناك من سبب واضح، ولكنها نفرت مباشرة من تلك الفتاة لاستلامها الحديث طوال الوقت مع زوجها أليكس. ورفضتها كلياً الى الحدّ الذي أصبحت معه تضغط على قبضة يدها في كل مرة تسمع فيها ضحكة ايرينا المثيرة الاعصاب.

كانت شارلوت ترتدي ثيابها في تلك الامسية عندما دخل أليكس الى غرفتها، وكان قد ارتدى قميصاً حريرياً خمري اللون أظهر جاذبية لونه الداكن، وكان يرتدي معه بنطالاً من الشاموا. وشعرت شارلوت بالارتباك واقتراب

الخطر حيث أنها كانت ترتدي قميصاً داخلياً فقط، وخاصة أن عينا أليكس تركزت على الانتفاخ في بطنها، ولكنه نظر الى وجهها وقال لها:

«أرجوك، لا تشعري بالحرج، فلم آت هنا لأي شيء، إلاّ لأنني أعطيت غرفتي لفرانكو، وأود أن أسألك اذا لم يكن عندك مانع أن أنام في غرفة تبديل الثياب الملحقة بحجرتك.»

وشهقت شارلوت وحبست أنفاسها، فللحظة تخيّلت أنه سيقترح عليها أن يشاركها غرفتها وارتعدت للفكرة. فرحّبت باقتراحه ولكنها ارتاحت لعدم توجب الاختيار أمامها.

«أنا...حسناً. ليس عندي مانع على شرط...»

وقاطعها بحدّة:

«ألاّ أزعجك أكثر مما يجب. بالطبع سأحتاج لاستعمال الحمام ولكن هذا كل شيء»

وهزّت كتفيها بدون مبالاة وقالت:

«هذا بيتك.»

ونظر اليها ببرود وأجابها:

«نعم هذا صحيح، شكراً على كرمك.»

وترك الغرفة.

ارتدت شارلوت في تلك الأمسية قفطاناً أصفر مزيناً بالبني وذو أكمام عريضة مزخرفة بضفيرة بنية. وانسدل قفطانها بشكل فضفاض.

في حين أن ايرينا ارتدت تنورة حمراء ضيّقة على العكس من شارلوت. واسترعى انتباه شارلوت لون أظافرها الأحمر الفاقع لمّا وضعت يدها على ذراع أليكس لتنبهه لما كانت تقول.

حضرت ألني الى العشاء ولم تستغرب شارلوت اقتراح أليكس عليها بأن تبقى معهم في الفيللا، بينما كان أخوها في ضيافتهم. وعدته ألني بأن تفكّر بالموضوع ولكنها بالطبع أعجبت بالفكرة. فقلّما أجتمعت بأخيها فرانكو وعندها الكثير من الأخبار. ووجدت شارلوت نفسها مع جورج كونستاندس لدى التوجه الى الطعام، وسرّت باصرار أليكس عليها لتجلس الى جانبه وبالطبع ايرينا جلست في الكرسي من الجانب الآخر، وأثناء تناول الوجبة وجدت نفسها مضطرة للتحدث مع جورج حيث أن ايرينا حاولت بكل ما في وسعها لتستلم دفة الحديث مع أليكس وتستجلب كل انتباهه،

وبالطبع هذا ضايق شارلوت.

مما لا شك فيه أنها كانت غيرة ولكنها رفضت أن تعترف بها . ولما انتهى طعام العشاء تناولوا القهوة في غرفة الجلوس ووجدت شارلوت نفسها على الأريكة بجانب فرانكو كالاموس العجوز طويل القامة كأخته ولكنه محني بعض الشيء وشعره قليل. كانت ضحكته جذابة جداً واستعملها في الوقت المناسب. وأحضرت تينا القهوة بجانب شارلوت ولما ذكرت أنها لن تأخذ القهوة سألها: «ألا تحبين قهوتنا القوية؟»

وحاولت ألا تظهر ارتباكها واحمرار وجهها وقالت:

«كنت أحبها»

وتمتمت بعدها بكلمات غير مفهومة ولكنه أجابها وهو يفكر بما قالت:

«آه فهمت. ألم تجدي الحياة هنا منعزلة في ليدروس بعد لندن؟ كان بيتك في لندن، أليس كذلك؟»

«صحيح، أظن أن ليدروس منعزلة ولكنني احبها.»

«أخبرتني ألثي أن ألكسندروس أمضى وقتاً طويلاً بعيداً عن الجزيرة منذ زواجكما وهذا من سوء الحظ.»

وأجبرت شارلوت على الابتسامة ولكنها كانت مدركة لايرينا تضحك لشيء ذكره أليكس وهما يقفان معاً بجانب الجهاز الموسيقي وقالت لفرانكو: «أنا... لا بأس بنا».

وأومأ فرانكو برأسه وقال:

« أليكس يعمل كثيراً، حتى اننا فقدنا الأمل بزواجه. الكثيرات من شاباتنا حاولن رمي شباكهن حوله بدون فائدة».

وبرقت عيناه وتابع:

«ألا تلاحظين تأثيره على ايرينا المسكينة؟ انها مغرمة به، ألا تظنين ذلك؟»

ورمقتهما شارلوت بنظرة ولم تشعر بأي أسف على ايرينا وانما شعرت بالعداء لها. بدت ايرينا واثقة ومتأكدة من نفسها.

تحسّب فرانكو لاحتمال أن تفهم شارلوت كلامه خطأ فتابع قوله:

«أنا متأكد انك لم تواجهي أية صعوبة من هذا النوع لأن نظرات أليكس اليك تظهر بأنك تتمتعين بمكانة خاصة عنده.»

وشعرت شارلوت باختناق في حلقها. كانت طريقة لطيفة ليطمئنها. ولكنها تعرف جيداً أن أليكس لا يحمل لها أية مشاعر خاصة في قلبه.

وتقدم جورج لينضم اليهما وقال:

«كان الطعام شهياً، هل اخترت الوجبة بنفسك يا شارلوت؟»

«لا، هذه مهمة ماريا. فأنا أعرف القليل جداً عن الطعام اليوناني.»

وأجابتها ألني التي سمعت المحادثة قائلة:

«ولكن يجب أن تتعلمي، في البداية كان الأمر مختلفاً ولم يتوقع منك أحد ان تستلمي لمجرد قدومك هنا. ولكن يجب أن تفهم ماريا أنك أنت سيدة البيت هنا.»

«أعطيها بعض الوقت...»

واستدارت شارلوت لتجد أليكس يقف خلف الأريكة التي تجلس عليها وتابع حديثه:

«يجب ألاّ تنسي أن شارلوت صغيرة. وطريقتنا في الحياة تحتاج الى التمرين».

وأتت ايرينا من خلف أليكس وقالت بلهجة ساخرة:

«نعم، انها صغيرة جداً أليس كذلك. فعلت جيداً بأنك خبأتها عن الناس، وإلا لكنت اتهمت بأنك تهاجم مدارس البنات الصغيرات.»

واستدارت شارلوت محاولة السيطرة على اعصابها ولكنه لم يخب ظنها بهذه الفتاة فهي لا تتورع عن خلق المشاكل اذا استطاعت.

واعتبر أليكس كلامها على أنه مزاح، في حين أن شارلوت شعرت بالغضب حتى لموقفه. ولكنها بالطبع كانت ايرينا قريبته ولا بد أن يكون متسامحاً معها. لكنه لم يدرك أنها تكرهه بسبب معاملتها على أنها صغيرة.

وبعد ذلك وضع أليكس بعض الموسيقى واقترحت ايرينا عليه الرقص. وكانت هذه طريقتها لترتمي بين يديه وهو لم يمانع. ورقص معها ببساطة، ولم تمسك شارلوت نفسها عن مراقبته. ولاحظ نظراتها مرة فضيق عينيه ومن ثم انطلق بضحكة مرحة لشيء ذكرته ايرينا. لم يطلب من شارلوت الرقص وعلى ما يبدو ما من أحد توقع ذلك.

وجلست تتحدث مع جورج و فرانكو في حين أن الني كانت تلقي بعض الملاحظات هنا وهناك. وحوال الساعة الحادية عشر قررت شارلوت الذهاب الى سريرها. كانت ألني ستقضي الليل عندهم وبدا أن الحفل مستمر

لبعض الوقت، ولكن شارلوت اعتذرت من الجالسين بأدب متحججة بالصداع، وتركت الغرفة غير آبهة بتعبيرات وجه أليكس العدائية.

وخلعت ثيابها في غرفتها ودخلت الحمام. كانت متعبة وبالفعل بدأت تشعر بالصداع ولكنّ حالتها كانت معظمها نفسية. واستحمت بالمياه الدافئة وارتدت ثوبها الحريري لتدخل غرفة النوم. واذ بها تجد باب غرفة الثياب مفتوحاً وهي متأكدة أنه كان مغلقاً، وانتبهت الى أن أليكس كان يقف بالباب حافياً وقميصه مفتوح لخصره. وبدأت ترتجف ولم تتمكن من التحكم بارتجاف صوتها عندما سألته:

«ماذا تفعل؟»

ولوى عضلات كتفيه بتكاسل وأجابها:

«طبعاً سأدخل سريري، ماذا يبدو عليّ أني أفعل؟ وماذا تتوقعيني أن أفعل عندما تعتذر زوجتي وتدخل غرفتها؟»

«أنا ...ولكن ليس هناك من ضرورة.»

«ولكني أنا قررت أن هناك ضرورة.»

ورفعت شارلوت رأسها وقالت:

«لماذا؟ هل ذهبت ايرينا الى سريرها؟»

وتضيق فم أليكس وقال:

«ليس بعد، حسب معلوماتي.»

وتمتمت وهي تمسك بفرشاة شعرها وقد أدارت ظهرها له:

«غريب. ربما يجب أن تذهب وتجد ما الأمر؟»

وأجابها بعصبية:

«وماذا يعني ذلك لك؟»

«أنا...لا شيء بالطبع.»

«اذاً فلماذا تعطي مثل هذه الملاحظة الوقحة؟»

وهزت رأسها وقالت:

«من المفروض أني زوجتك، أليس كذلك؟»

واستدارت نحوه وعيناها تشع غضباً وقالت:

«وماذا سيظن خالك عن طبيعة علاقتنا عندما يراك تقضي وقتك بمغازلة ابنة اخته.»

«أنا لم أغازل ابنة اخته.»
«حسناً...تركتها تغازلك.»

ودخل الى غرفتها مقترباً منها محاولاً التحكم بأعصابه بصعوبة وقال:
« ابرينا لم تغازلني.»

ولم تتمكن شارلوت من التوقف عن التحدي وقالت:
«اوه، لا. وماذا تسمي ذلك؟ ام انها عادة يونانية. لم أعلم انه من الطبيعي لفتاة غير متزوجة أن تتغنج على رجل متزوج وهو يقبل منها ذلك.»
« شارلوت.»
«اني أعني ما أقول. والطريقة التي كنت ترقص معها فيها كانت مقرفة.»

وتقدم أليكس منها أكثر وأمسك بكتفيها وعانقها وقال:
« شارلوت. يا إلهي ألا تعرفين أنني أريدك انت، وأنا بحاجة لك؟ واذا نجحت بأن أثير غيرتك فأنا سعيد بذلك. لأني لا أعلم كيف تتوقعيني أن أنام في غرفة الثياب وأنا أعرف أنك بعيدة عني أقل من مترين.»

وما الفائدة من النكران؟ لقد شعرت بالغيرة وكانت تريده أيضا.

وفي صباح اليوم التالي، شعرت بتكاسل لذيذ وانتبهت الى أنها لوحدها في السرير. كانت الساعة بعد العاشرة وهذا مما خفف قلقها لأن أليكس لا ينام متأخراً عادة. ونهضت شارلوت من سريرها وشعرت بقليل من الدوخان، ربما بسبب الجوع لأنها لم تعد تشعر مؤخراً بأي دوخة أو رغبة بالتقيؤ. لا بد أن أليكس طلب من تينا ألا تزعجها.

وبدأت تتذكر أحداث الليلة الماضية بينما كانت تستحم وفجأة استفاقت من احلامها وأفكارها. فكيف لها أن تحلم برجل كان مسؤولاً بشكل غير مباشر عن موت أبيها وأجبرها على الزواج منه لتنجب له وريثاً؟ هل جنت حتى تحطم ذكرى أبيها بهذه الطريقة؟

يا لها من حمقاء. أن تسمح له أن يفعل هكذا. وخرجت من الحمام وقد التفت بمنشفة. والقتها جانباً وارتدت ثيابها والأفكار ما زالت تتصارع في مخيلتها. وبدأت تدرك ما هو أهم من ذلك، لقد تغيرّ شعورها تجاهه، حقاً انها تكرهه بعض الأحيان وتكره سلطته عليها ولكن الأهم من ذلك والسبب الحقيقي لسماحها له بالتصرف كما تصرف هو لأنه أصبح انساناً مهماً لها. لم يعد مجرد الانسان الذي لجأ له أبوها في حالة يأس ولم يعد الجلاد الذي أخذها سجينة، انه زوجها بكل ما في

الكلمة من معني وتحبه. وجدت فرانكو و ألني يشربان القهوة ولكن ما من أثر لأي أحد آخر. وبعد السؤال عن صحتها أوضحت لها ألني قائلة وغير مدركة كيف سيكون تأثير مثل هذه الاخبار على شارلوت:

«أليكس اصطحب ايرينا الى أثينا، كنت نائمة عندما ذهبا ولم يرد أليكس ازعاجك.»

وأمسكت شارلوت طرف المائدة بشدة وقالت:

«لماذا ـ لماذا يفعل مثل ذلك؟ يصطحب ايرينا الى أثينا؟ لقد وصلت البارحة.»

وأجابتها ألني مفسرة:

«أظن انها نسيت بعض التسوق. اجلسي شارلوت، انت تبدين شاحبة، أليس كذلك يا فرانكو؟»

«لقد فعل أليكس طيباً أنه لم يقترح أن تذهبي معهما.»

جلست شارلوت لأنها شعرت بأنها ستسقط اذا لم تجلس، ولكنها فقدت شهيتها حتي انها شعرت برغبة في التقيؤ. لماذا وافق أليكس على اصطحاب ايرينا الى أثينا . ما من شك أنه يعرف وقع الخبر عليها!أو أنه لا يهمه ذلك؟ هل كان كل ما ادّعى به في الليلة الماضية عبارة عن اقوال مؤقتة ليصل الى أغراضه؟ ولكن ماذا يمكنها أن تتوقع منه غير ذلك؟ فهو لم يعبّر لها عن حبه ولا مرة واحدة. ومن الغباء أ ن تظن أنه يحبها.

وخرجت الى الشرفة في أول فرصة استطاعت أن تعتذر من الموجودين. لقد كانت بحاجة لأن تبقى لوحدها وتفكر وتخطّط أصبحت متأكدة من شيء وهو انها لن تتمكن من الاستمرار بهذه الطريقة من الحياة، وتجعل من نفسها دمية لأهوائه المريضة.

لقد حافظت على شروط العقد من جهتها ونفّذتها، ولكن لم يكن هنالك في العقد ما يجبرها على العيش معه خلال تسعة أشهر الحمل. لم يكن مهماً انه ما من أحد لها في انكلترا ولكن هنالك بيتها وما زالت محتفظة به وشعرت بأنه ملاذها. توقّعت انها ستحتاجه يوماً ما وهي سعيدة الآن لأنها احتفظت به. ولكن لم تتخيل أنها ستحتاجه بمثل هذه الظروف. بدت عزلة الجزيرة أكبر مشكلة تواجهها، فلو كانت تعيش في مدينة اخرى حيث المواصلات متوفرة لكانت كتبت رسالة لأليكس وغادرت الفيللا. ولكن وضع ليدروس منعها من مثل هذا

التصرف. وبالرغم من أنه لن يهتم أو يقلق عليها ولكنه بالتأكيد سيهتم بوضع الطفل ولذلك يجب أن تشرح خططها لأليكس وتؤكد له انها لن تفعل ما يؤذي الطفل ولكن مثل هذه المواجهة ستكون عاصفة، وانتظرت عودته وهي تستعد. وفكّرت بنفسها. وماذا اذا حاول اقناعها بعدم المغادرة؟ ماذا لو استعمل تأثيره الأكيد عليها ليقنعها بالبقاء؟ كيف تقاومه وهي تحبه وتشعر أن الحياة تبدو مملة وقاتمة بدونه؟

ووجدت حلاً لذلك. طالما أنها تتذكر صورة أبيها بعد أن غرق وطالما تذكرت ماذا فعل لأبيها ستبقى صامدة وعادت الهيليكوبتر عندما كانت شارلوت تستريح على سريرها بعد الغداء. لم تنم ولكنها على الأقل كانت لوحدها ولم يتوجب عليها التظاهر بالبهجة بين الضيوف في حين أنها لا تشعر كذلك. ومع ذلك دهشت لدخول أليكس الى غرفتها بعد خمس دقائق من هبوط الهيليكوبتر وشعرت بالمرارة. ولكن تصميمها بدأ يتلاشى أمام لهجته الرقيقة التي واجهها بها وهو يقول

«مرحباً يا حبيبتي كيف تشعرين الآن؟»

وجلست على يديها وأجابته بجفاء:

«وهل يهمك؟»

ودفع شعره عن جبينه وقال:

«يا إلهي بالطبع يهمني.»

«أنت تهتم. آه، آسفة لقد نسيت أني اذا كنت متعبة فالطفل ليس بحالة جيدة. تأكد أن كلانا بحالة جيدة.»

وجلس أليكس على طرف السرير بجانبها واقترب منها. كان يرتدي بذلة من الشاموا خضراء وقميصاً حريرياً لونه بيج وبدا جذاباً الى حد كبير حتى انها بدت تشعر برغبة بأن تغفر له وتتقبل شروطه ولكنها قوّت من عزيمتها. وسألها بعصبية:

«ما الذي حصل لك؟ ألم تخبرك ألني أين ذهبت؟»

«نعم أخذت ايرينا الى أثينا. ألم يتمكن جورج من اصطحابها. أو أن جورج ينفع لاصطحابي.»

وكزّ أليكس على اسنانه وأجابها:

«ما من حاجة للغيرة لأن جورج كان معنا. أو أنك لم تلاحظي ذلك؟ كنا

ذاهبين أنا وجورج لبعض الأعمال في مكتب أثينا وأرادت ايرينا أن تتسوق فقدمت معنا.»

وشعرت شارلوت بالارتياح. حقاً لم تشاهد جورج أثناء الغذاء ولكنه لم يخطر لها أنه بصحبة أليكس. ولكن مع ذلك فهذا لا يبرر الموقف، فأليكس ما زال يستعملها لاغراضه وسيستمر بذلك طالما أن الموضوع يناسبه وهي لم يعد باستطاعتها الصبر على ذلك. وتنفّست بعمق وقالت:

«أليكس أنا أريد أن أعود الى لندن.»

ومضت دقائق وأليكس بدا مندهشاً لكلامها ووقف بهدوء وردّد كلماتها ببرود:

«تريدين العودة الى لندن؟ وهل لي أن أسأل لماذا؟»

وابتلعت شارلوت ريقها وقالت:

«ما من شيء يمنعني من ذلك. أليس كذلك؟ أعني انه ما من شرط في العقد يجبرني على العيش هنا أم أنه يوجد مثل هذا الشرط؟»

واستدار اليها أليكس مقطباً وقال:

«دعيني أفهم ما تقولين.»

وأدركت أنه صدم بكلامها.

«تودين الذهاب للعيش في لندن؟»

«نعم. حتى ولادة طفلي. بعدها ربما أسافر لفترة.»

«هل تقترحين عليّ أن أسمح لزوجتي أن تذهب وتعيش لوحدها في لندن؟»

وتنفس بعنف وتابع:

« شارلوت أنت مجنونة. هل تدركين انه لو عرف أحدهم من أنت لكنت لقمة سائغة لكل مرتزق في عالم الاختطاف.»

وارتجفت شفتاها وهي تقول:

«انت تبالغ.»

وضغط على قبضته وقال:

«أحقاً أبالغ؟ في أي حال لن أسمح لك.»

«وكيف ستمنعني؟ بالقوة؟»

وتنهد أليكس وقال:

« شارلوت ما هذا؟ البارحة...البارحة...يا إلهي، هل تفهمين ما أحاول أن أقول

لك؟ البارحة كنا رائعين معاً. واليوم خرجت لخمس ساعات وعدت واذ بك تخبريني أنك تودين هجري؟ شارلوت لن أسمح لك بأن تفعلي ذلك بي.»

واجابته بتعجب ورفعت ركبتيها فوق السرير ولفت يديها حولها وهي تقول:

«لن تمنعني.»

وجلس بجانبها مرة اخرى، واذا بها تبادره بعنف:

«لا تقترب مني.»

فوقف مرة ثانية. وقال:

«هكذا اذا. أنت خجولة مما حصل البارحة ولا تستطيعين التوفيق بين ما يجب أن تشعري به وبين حقيقة شعورك فعلاً.»

وانفجرت به لأنه كان قريباً من الحقيقة وقالت:

«انت مخطىء. انا لم أشعر بشيء».

وانقلب وجه أليكس وقال:

«انت حقاً تصدقين ذلك.»

«أنا أعلم أن هذا هو الواقع. حسناً...انت تجبرني على فعل الاشياء، ولكني لا أستمتع بها. وبالتالي ألوم نفسي بعد ذلك. وأشعر بالكراهية تجاهك يا أليكس فولكنر، ولن أتوقف عن كراهيتك.. وأنا انتظر بفارغ الصبر اليوم الذي ستأخذ فيه طفلك وأصبح أنا حرة».

ووقف أليكس غير قادر على الحراك، وعندما انتهت أجابها:

«حسناً. اذا كان هذا ما تريدينه فلن أزعجك مرّة اخرى. ولكن لن أسمح لك بالذهاب للعيش في لندن.»

«ماذا؟»

ووضع يديه في جيبيه وقال:

«لن أسمح لك أن تعرضي حياتك للخطر بغض النظر عن مشاعرك تجاهي.»

وتابع قائلاً:

«ولكن طالما أن وجودي هنا يبدو مشكلة. أنا مستعد للرحيل الى ما بعد ولادة الطفل. وسأرتب وجود طبيب وممرضة ليكونا هنا في الفيللا لعدة أسابيع قبل موعد ولادتك، وستتلقين العناية اللازمة. وفي الواقع اتصلت اليوم بطبيبنا وطلبت منه أن يأتي ليفحصك في الأسبوع المقبل لنتأكد أنك بحالة جيدة. بعد الولادة.»

سمعت شارلوت ما قاله بقلب معتصر. بالطبع هذا ما أرادت أن يبتعد هو

عنها. وهي حقاً ستكون هنا في أمان بين أناس يهتمون بها في حين أنها ستكون وحيدة في لندن.

ولكن كيف يمكنها أن تحرمه من بيته ولو مؤقتاً؟

واحتجّت قائلة:

«ولكن هذا غير ممكن. وماذا ستظن جدتك؟»

وأجابها بضيق:

«أقل بكثير مما قد تظنه فيما لو أنت ذهبت الى لندن. حسناً. هل هذا يرضيك؟ هذه الجزيرة بيتك.»

وسار باتجاه الباب وقال:

«عندي عدة بيوت وشقق، وكلمة بيت قلّما استعملها.»

ونظر اليها قبل ان يغادر وقال:

«بالطبع تقدّرين أني يجب أن أبقى هنا لبضعة أيام الى ما بعد عيد الميلاد؟ وأعدك بالاّ أزعجك. وسأنام في الغرفة الملحقة بغرفتك وبامكانك قفل الباب اذا أحببت.»

وشعرت شارلوت بحرقة الدموع في عينيها، وهذه هي حالها دائماً معه يمكنه أن يؤثر عليها حتى بدون أن يحاول. وشدّت ظهرها وقالت بعزم:

«لن أقفل الباب. انت زوجي ولك الحق القانوني بأن تشاركني سريري.»

وأجابها أليكس بمرارة:

«لا، شكراً».

وخرج وصفع الباب خلفه.

ولم تشعر شارلوت بالبهجة يوم عيد الميلاد، بالاضافة الى أنها كانت تعاني من الرشح ولذلك كان عذرها واضحاً لعدم الانضمام لاحتفالات العائلة.

ولكنها سرّت بالهدايا التي تلقتها لقاء الهدايا الصغيرة التي قدّمتها، ايشارب مشغول من ماريا، وخفّ من جلد الغنم والماعز من صوفيا و تينا، ومحرمة مطرزة من خريستوف، وبارفان من ايرينا، رائحة غريبة شعرت شارلوت بأنها تناسب ايرينا أكثر مما قد تناسبها. وقدّمت لها ألني بلوزة فضفاضة ستفيدها أثناء فترة الحمل وحتى فرانكو جلب لها علبة من الحلويات.

ذهب الجميع للصلاة في كنيسة القرية الصغيرة، وحضر أليكس لرؤيتها قبل أن يذهب. ولم تكن قد رأته على انفراد لمدة يومين منذ أن أخبرتها برغبتها في

السفر الى لندن. ولمّا كانت تركت هديته مع الآخرين في غرفة الجلوس لم تتوقع منه أن يشكرها شخصياً. ووقف بالباب المفتوح وقال لها:

«عندي هديةٍ لك اذا كنت تشعرين انك على استعداد لتقبّلها سأجلبها لك».

وبدت شارلوت مندهشة وقالت:

«أنا بخير.»

فهزّ رأسه وترك الغرفة وعاد وكتلة من الفراء الملوّن بيده. وتوسعت عينا شارلوت محدّقة به. وانحنى ووضع الحيوان الصغير على الأرض. كان كلباً صغيراً جميلاً يركض في غرفة النوم غير آبه بالاثاث.

ونهضت شارلوت من سريرها وهي تقول:

«اوه، أليكس ».

ومن ثم أمسك بالحيوان الذي حاول الافلات.

«أليكس انه جميل.»

واغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

«لا أعلم ماذا اقول؟»

ونظر اليها أليكس بحزن وهو يهز رأسه وقال:

«لا تقولي أي شيء. وبالمناسبة فقد أعطيناها الحقن المعتادة اللازمة وفهمت أنها مدرّبة على الحياة في البيوت ولو اني لن أضمن لك ذلك.»

ونقلت شارلوت عينيها من أليكس الى الكلبة وبعدها سألته:

«أهذا لي؟»

وسمعت زفرته العميقة وأجابها:

«نعم انها لك. ذكرى لاقامتك في ليدروس اذا أحببت.»

وخرج من الغرفة من غير أن ينظر خلفه.

١١ ـ وحيدة في الجزيرة

كان الطقس خلال شهري كانون الثاني و شباط بارداً ممطراً يرافقه الهواء العاصف. لم تهطل الامطار كما هو الحال في انكلترا بشكل مستمر لأيام، ولكنها كانت تهطل بشكل غزير لبضعة دقائق وتتوقف حيث تصبح كل الممرات موحلة و تطوف الأنهار، وبدت الجزيرة مختلفة كلياً بعد هطول الأمطار. ومع ذلك بدأت شارلوت تحب تلك الجزيرة بكل أحوالها.

واعتادت للخروج للمشي لتمرّن الكلبة سوكي. كانت سوكي بحاجة للكثير من الاهتمام في تلك الأسابيع الأولى واستمتعت شارلوت بصحبتها ولم يسبق لها أن درّبت كلباً من قبل ولكنه كان نوعاً من التحدّي بالنسبة إليها، واكتسبت سوكي العادات اللازمة. وكانت لها تعويضاً عما كانت تعانيه من أزمة عاطفية. حتى ماريا اعتادت على هاتيك العينين البنيتين الواسعتين وأصبحت الكلبة محبوبة من قبل جميع الخدم.

وقضت شارلوت معظم وقتها حوالي أو في الفيللا. ومنذ أن غادر أليكس لم تجتمع بألني إلاّ مرّات معدودة لأنها شعرت بأن ألني كانت تلقي عليها اللوم بدمار زواجها. وفي بعض الأحيان كانت شارلوت تبذل جهداً لتقطع المسافة عبر الجزيرة لزيارة ألني، ولّما كانت الأخيرة تشعرها بعدم موافقتها على الوضع، تناقصت زيارات شارلوت وهذا مما أحزنها لأنها أحبت العجوز، ولكن من جهة ثانية ربما من الأفضل ألاّ تتورّط في علاقات في حين أنها ستترك الجزيرة خلال ستة أشهر.

وبدأت شارلوت تتعلّم الطبخ اليوناني على يد خريستوف حيث تعلّمت كيف تحضر شوربة الدجاج مع بيضة، وكان هذا الطبق الشعبي كما أخبرها

خريستوف، وتعلّمت المصقعة، والفواشات وكانت عبارة عن طابات عجين مقلي تقدّم مع القرفة والسكر. وتعلّمت شيئاً من اللغة اليونانية حتى أنها بدأت تفهم ما يقوله خريستوف اذا تكلّم ببطء. أسوأ ما في الأمر كان قتل الوقت في الأمسيات والليل حيث كانت تتمشى في دهاليز الفيللا بضيق وهي تحاول ابعاد اللحظة التي يتوجب عليها الذهاب الى سريرها.

بدأ طبيب العائلة الدكتور ليونيدس بالقيام بزيارات منتظمة ليفحصها وأعطاها بعض الحبوب المنومة ولكنها كانت ترفض تناولها أحياناً وتفضّل القراءة حتى الساعات المبكرة من الصباح وبعدها تنام من الاعياء، وحتى أن كتابها يبقى في يدها أحياناً. لم ترضى ماريا عن ذلك ولكن ما من شيء تستطيع فعله. ومع ذلك وبشكل عام كانت صحة شارلوت جيدة، تأكل لأنه عليها أن تفعل ذلك، وتقوم بالكثير من التمارين، وبالرغم من أن وزنها كان في ازدياد ولكنه كان يزداد في الأمكنة المناسبة. كان بطنها ينمو فوق المقاييس المعتادة وبدا لها كل شيء غير حقيقي حتى كونها تحمل طفلاً في أحشائها، الى أن تحرّك الطفل. كانت تفتقد أليكس أحياناً الى حدّ لا يطاق. ومهما حاولت ابعاده عن مخيلتها كانت صورته لا تفارق مخيلتها. ولم يكن شيئاً غريباً في ظروفها وهي تعيش في بيته وعلى جزيرته. فكيف لها أن تنسى؟ وتنام في السرير الذي شاركها فيه، كيف لها أن تنساه. ولكنه كان يراودها شعور أحياناً بأنها لن تنساه حتى لو كانت في أي مكان آخر، وخاصة بعد أن بدأ الطفل بالحركة.

وحوال نهاية آذار عندما بدأت تخف الرياح وتتفتح البراعم معلنة عن حلول الربيع زارها جورج. هذا، وكان يقوم ديميتريوس أو فيتوريوس بزيارتها من وقت لآخر ليطمئناها عن أليكس ويتأكدا من أن الأمور تسير على ما يرام. ولكن هذه المرّة عندما سمعت صوت الهيليكوبتر كادت تصرخ، ولكنها كانت تجلس على الشرفة بهدوء محاولة إخفاء خيبة أملها عندما خرج جورج كونستاندس من غرفة القيادة.

لم تدرك شارلوت مدى التغير بشكلها الى أن علّق جورج على ذلك. فقد اكتسى جسمها باللحم وبدا شعرها لامعاً، وكانت البلوزة الفضفاضة بالكاد تغطي الانتفاخ في بطنها.

وبعد أن قدمت تينا لها الشوكولاتة، وسألها جورج عن صحتها، سألته بسرعة:

«ما الخطب جورج، لماذا أتيت؟ هل هناك من سوء؟»

وأجابها قائلاً:

«ألا ترحبين بوجودي هنا؟»

وتنهّدت شارلوت وقالت:

«أنت تعرف أني أرحّب بك، ويسعدني أن أرى وجهاً آخر بعد كل هذه الأسابيع ولكن ...»

«أنا أعرف. فأنت قلقة فيا لو كنت أنا هنا لسبب آخر».

وأومأت شارلوت رأسها قائلة:

«نعم».

ونظر جورج بفنجانه وسألها:

«تودين معرفة حال أليكس؟»

وجاء جوابها بتشوّق:

«بالطبع».

وتردّد جورج قبل أن يجيبها بقوله:

«أليكس بخير وهو في لندن».

«لندن؟»

«نعم».

«هو بخير؟»

«انه ليس مريضاً اذا كان هذا ما تعنيه».

وقطّبت شارلوت وقالت:

«وماذا تعني اذاً؟»

وشرب بعضاً من الشوكولاته وهو مدرك لنفاد صبرها بانتظار جوابه وقال أخيراً:

«أعني أني لست راضياً عن حاله».

وتحرّكت بعدم ارتياح وقالت:

«تابع».

«وأظن أنه يجهد نفسه وليس هناك من حاجة لذلك. انه يوظّف رجالاً ليخفّف من همومه ويعود ليتخذ القرار عنهم مرّة ثانية. ولا يأكل بشكل جيد ولا يرتاح ويبدو عليه التعب».

ونهضت شارلوت لتتمشى على الشرفة واستدارت لتحدّق به وسألته بحدة:

«لماذا تخبرني بذلك؟ لماذا لم تخبر أليكس؟»

«ألا تظنين أني قلت له؟»

«وهل يعلم انك هنا؟»

«نعم، انه يريد آخر أخبارك».

«ولكنه لم يطلب منك أن تخبرني، أليس كذلك؟»

«وماذا تظنين؟»

وهزّت رأسها قائلة:

«لا، انه لن يفعل».

«لن أناقشك».

وتنهّدت ، وعادت الى كرسيها وقالت:

«اذاً، لماذا تخبرني؟»

وأجابها جورج بهدوء:

«يمكنك أن تطلبي منه العودة».

واحمرّ وجهها وقالت:

«الى هنا؟»

«الى أين اذاً؟ انه المكان الوحيد الذي يرتاح فيه. لا هاتف ولا اتصالات. انه بحاجة لذلك يا شارلوت. هناك ما يزعجه وأظن أنه أنت».

وكتّفت يديها وتنفّست بعمق وقالت:

« جورج، أليكس لا يهتمّ بي. لا أعلم ماذا أخبرك عن سبب زواجنا. ولكن... حسناً لم يكن بسبب الحب».

وأجابها جورج بثبات:

«أنا أعلم تماماً لماذا تزوجتما. وعرفت والدك كذلك».

وأجابت شارلوت:

«اذاً، ستفهم كيف أشعر».

«بعض الشيء، ولكنك لا تعرفين الحقيقة كاملة. أليس كذلك؟ والا لكنت فهمت أليكس أكثر».

وقطبت شارلوت وهي تقول:

«ماذا تعني بالحقيقة الكاملة؟ بالطبع أعرف كل الحقيقة والاّ لما كنت هنا».

ورفع حاجبيه الشائبين وقال:
«أشك بانك تعرفين الحقيقة. أليكس ليس من هذا النوع من الرجال. لن يخبرك فكبرياؤه عظيمة».
وبدأت تتهيج شارلوت وقالت:
«عم تتكلم؟ وما الذي لا أعرفه؟»
«كيف كانت معرفتك بأبيك؟»
وقطّبت شارلوت أكثر وأجابت:
«كما تعرف كل ابنة أبيها».
«قضيت معظم وقتك في المدرسة، أليس كذلك؟ ومن المستحيل أن تعرفي عن تورطه في القمار، أليس كذلك؟»
وتشنجت شارلوت وقالت:
«لا أصدّق أن أبي كان مقامراً. لعب الورق، نعم. كان تعيس الحظ وكذلك كان الحال مع الكثيرين من الناس ولكنهم لم يدفعوا حياتهم ثمناً لذلك».
وهزّ جورج كتفيه وقال:
«آوه، حسناً... اذا كان هذا شعورك».
وحدّقت به بيأس وقالت:
« جورج، جورج ارجوك لا يمكن أن تبدأ بموضوع وتتركه. اذا كنت تعرف شيئاً عن والدي لا أعرفه أنا يجب أن تخبرني».
وأحنى جورج رأسه لجانب واحد وقال:
«هل تصدّقيني؟ أنت لم تصدقي أليكس، أليس كذلك؟»
ونظرت الى يديها وقالت:
« أليكس أراد من تنجب له طفلاً بأقل جهد ممكن».
وهزّ جورج رأسه وقال:
«اذا كان هذا ما تعتقدينه، فأنا آسف من أجلك يا شارلوت. أنا حقاً آسف. وأنا آسف لأجل أليكس. ظننت أنك تعلّمت ما نوعية أخلاق زوجك بعد هذه الفترة».
وغمزت شارلوت بعينها وقالت:
«اخبرني اذاً».
«لا. أنا لا أستطيع أن ابررّ لك مواقف أليكس. فلن يرضى هو عن ذلك. ولكن

يوماً ما اتصلي بمحاميك بلندن واسأليه ماذا حصل منذ ثمانية أعوام».

ومضت الأسابيع بعد زيارة جورج طويلة جداً. وبالرغم مما قاله جورج عن حالة أليكس الصحيّة فلم تصدّق أن لذلك علاقة بها. اذا كان يجهد نفسه فهو اختار ذلك، وان كان يذكرها فيكون ذلك بضيق لأنها أنكرت عليه حقه باستعمال الجزيرة.

وفي أي حال فقد كانت قلقة عليه وانتظرت زيارة فيتوريو الثانية لتسأله عن أحوال مستخدمه.

ولم تستطع أن تتخذ قراراً بشأن ما اقترح عليها جورج من الكتابة الى محاميها السيد فولستاف. كيف تكتب لمحاميها تطلب تفسيراً لخبر غريب بهذا الشكل؛ الحادث الوحيد الذي تذكره من ثماني سنوات كان وفاة والدتها، ولا علاقة لأبيها بذلك. إلاّ... إلاّ اذا كان موت أمها هو الذي جعل منه مقامراً وسبّب في موته.

بالتأكيد ستتكلّم مع محاميها عندما تعود الى لندن ولكنه أمر لا يمكن كتابته برسالة.

بدأ الطقس بالتحسن وأصبح بامكانها قضاء ساعات في الشمس، واستعادت لونها البرونزي. حتى انها ارتدت لباس السباحة عندما كانت على يقين بأن ما من أحد سيراها. وبدأ يزداد نشاط الطفل ولم تعد تتمكن من النوم في بعض الليالي بسبب رفس الطفل. ولكن الأمر بدا حقيقياً ولم تعد تشعر بالوحدة. وفي إحدى الامسيات في بداية شهر أيار/مايو قرّرت زيارة ألني. فلم تسمع أخبارها منذ زيارة جورج الذي زارها أيضاً. ولم تسمع أي أخبار من فيتوريو وتساءلت فيما لو كانت ألني تسمع أخبار حفيدها. مضى عليها مدة طويلة لم تقطع فيها مثل هذه المسافة ولكن الطقس لم يكن حاراً مع نسمة خفيفة خفّفت من وطأة الحر.

كانت ألني في الحديقة تجمع بعض الحشائش وبدت عليها الدهشة عندما شاهدت زوجة حفيدها وبادرتها:

«يجب ألاّ تقطعي مثل هذه المسافة مشياً في مثل حالتك».

وتنهّدت شارلوت ونادت سوكي وقالت:

«أنا بخير يا تيته».

ولحقت بألني وتابعت:

«بالاضافة الى أنّ التمرين جيد لي».

ولم تجبها ألني وانما اشارت لشارلوت بالجلوس وأمرت تينا بأن تحضر عصير فواكه مبرد. وبعد ان جلست ألني قالت:

«كنت أهمّ بالمجيء لزيارتك بنفسي سيصل الطبيب والممرضة خلال ثلاثة اسابيع، أليس كذلك؟»

وأومأت شارلوت قائلة:

«أعتقد ذلك».

ولكنها ارتجفت لدى تذكّرها للولادة لأن الفكرة كانت ترعبها، فما من أحد لتلجأ له أو لتفضي له بهمومها ومخاوفها.

وشبكت ألني يديها في حضنها وقالت:

«هل سيكون أليكس هنا عند ولادة طفله؟»

وهزّت شارلوت كتفيها قائلة:

«لا أعلم. هل سيحضر؟»

واجابتها ألني قائلة:

«بالتأكيد يود أن يكون هنا. ومن جهة ثانية أنا أحاول أن أتفهّم موقفك تجاه كونك ستصبحين أماً قريباً. أليكس أخبرنا كيف شعرت لأنك صغيرة جداً وأنه كان مهملاً، ومع ذلك أنا لم استطع تبرير موقفك خلال الأشهر الماضية».

وابتلعت شارلوت تلك الكلمات بصمت. اذاً هذا ما أخبر أليكس أهله، أنها معارضة كونها حامل. حسناً، عذر كأي عذر آخر.

وسألت ألني:

«وهل... هل سمعت أخبار أليكس؟»

«لا، لم أسمع. لم نسمع أي شيء منذ أن كان جورج هنا. وانت ألم تسمعي أي شيء؟»

وهزّت شارلوت رأسها وقالت:

«أنا... جورج أخبرني أن أليكس يجهد نفسه. هل أخبرك شيئاً».

«أنا أعرف حفيدي يا شارلوت، انه يجهد نفسه لأنه غير سعيد، وسبب تعاسته هو أنت».

«لا».

«دعيني أتمّ كلامي. عندما أخبرني أنه سيتزوج فرحت جداً، لأنه عاش وحيداً

منذ وفاة والديه. كنت أشك بنجاح الزواج لأنك صغيرة ولكن كان من الواضح أن أليكس يحبك وإلاّ لما انتظر كل هذه الفترة».

وردّدت شارلوت بعدم تفهم للكلمات:

«انتظر طويلاً؟ ماذا تعني».

«اوه، لا أريد أن أتحدّث بالموضوع بعد الآن لأنه يسبّب لي النرفزة. هذه بتينا جاءت لنا بالعصير. دعينا نتكلم بأمور أقل اثارة للاعصاب».

رفضت شارلوت عرض ألني عليها بأن تطلب من ياني أن يوصلها، لأنها لم ترغب بركب العربة بالاضافة الى أن النسيم كان لطيفاً بعد ظهر ذلك اليوم.

وتمشّت في طريق العودة وهي تراقب سوكي الذي كان يركض أمامها وبدأت تفكر بما قالته ألني. ماذا عنت بأن أليكس انتظر طويلاً؟ إلاّ إذا كانت تعني أنه انتظر طويلاً قبل أن يختار زوجة لنفسه. وماذا يمكن أن تعني غير ذلك؟ فهي لم يسبق لها أن سمعت بأليكس فولكنر حتى قبل ثمانية أشهر.

وصلت شارلوت الى الفيللا منهكة، ورفضت الشاي الذي قدمته لها ماريا وتوجهت رأساً الى غرفتها. وخلعت صندلها واستلقت وبدأت عضلاتها المتعبة تسترخي. وأغلقت عينيها لتستغرق بنوم عميق من شدّة الاعياء.

واستيقظت بعد أن أصبحت الغرفة مظلمة، وشعرت بألم في ظهرها. وأدارت النور لترى الوقت وكانت الساعةالعاشرة ولا بدّ أن ماريا قرّرت ألا توقظها للعشاء ولكنها من المؤكد أنها ما زالت مستيقظة. وتمنّت شارلوت أن تشرب فنجاناً من الشاي. نهضت من سريرها وهي تشعر بالآلام في ظهرها بسبب مشوار بعد الظهر.

ولّما فتحت باب غرفة النوم شاهدت نور القاعة فمشت في الدهليز عدّة خطوات واذ بنور غرفة الجلوس أيضاً، وليس من عادات ماريا أن تترك الاضواء بدون فائدة. فقطبت وتقدّمت من الباب واحتبست أنفاسها عندما رأت أليكس يجلس على إحدى الارائك وقد وضع كوعيه على ركبتيه ودفن رأسه بين يديه. ما زال يرتدي الثياب التي لا بد وأنه وصل بها، بذلة غامقة وقميص أبيض وقد فك ربطة عنقه.

وتوقّفت شارلوت عند مدخل الباب لا تعرف ماذا تفعل. ومن ثم رفع رأسه ورآها وبدت عليه إمارات غريبة جعلتها تفرح لأنها كانت ترتدي تلك البلوزة

الفضفاضة التي صنعتها لها صوفيا. كانت صوفيا ماهرة في هذه الاشياء والآن بعد أن تقبّلت وجودها في الفيللا وصحّ تكهن ألني أصبحت مفيدة جداً لشارلوت.

ونهض أليكس وقال:

« شارلوت، كنت نائمة عندما وصلت وطلبت من ماريا ألا توقظك».

وبدأ يسوء الالم في ظهرها، ولكنها حاولت تجاهله.

«أنا... أنا لم أسمعك، هل اتيت بالهيليكوبتر؟»

«لا... أنا أتيت بالزورق مع فيتوريو».

واعتدل أليكس في وقفته ولاحظت شارلوت أن ما قاله جورج لم يكن مبالغاً فيه وقال لها:

«أنا آسف اذا أزعجتك بقدومي ولكني شعرت أني يجب أن آتي لزيارة جدّتي فلا بد أنها قلقة عليّ».

ونظرت اليه شارلوت وقالت:

«الحقيقة أنها قلقة عليك. رأيتها اليوم بعد الظهر حيث ذهبت لزيارتها».

وقطّب أليكس وقال:

«سيراً؟»

وتنهّدت شارلوت وقالت:

«في الواقع، نعم».

ولم تعد تستطيع الوقوف أكثر بدون أن تضع يديها على مكان الألم في ظهرها.

«هل أكلت شيئاً؟ هل تعرف ماريا أنك هنا».

«بالطبع هي تعرف اني هنا. وتناولت بعض السندويش، ولم أكن جائعاً. ولكن أنت لا بد أنك جائعة. ماريا أخبرتني انك لم تأكلي شيئاً منذ الغداء».

وشعرت شارلوت بالتعب أكثر وقالت:

«أود لو أتناول فنجاناً من الشاي. ولكني سأحضره بنفسي».

وكان أليكس يراقب حركاتها فتقدّم منها وأزاح أصابعها من على ظهرها وسألها:

«ما بك هل تشعرين بالألم؟»

وهزّت رأسها شارلوت وبدأت تخطر ببالها الذكريات لمجرد لمسة يده

وتسارع تنفسها واعترفت قائلة:
«ظهري يؤلمني، هذا كل شيء. ربما لأني مشيت كثيراً اليوم».
وبدأ أليكس يمسّد لها عمودها الفقري. وقالت له:
«شكراً لك. فقد خفّ الألم».
فتوقّف وبدأ يحدّق في عينيها والعاطفة تبدو واضحة في عينيه. وبحركة لا إرادية أخذت شارلوت يده ووضعتها على بطنها لتحثّه أن يدرك الطفل الذي بينهما.
وقال لها:
«يا إلهي، شارلوت أرجوك لا تدعيني أرحل. دعيني أبقى هنا».
بكاء شارلوت جعله يتنبّه ويسألها:
«ما بك يا شارلوت؟ هل آلمتك؟»
وهزّت رأسها بصمت ووضعت يدها على بطنها. لقد ازداد الألم الآن. انه ألم مستمر، ونظرت بيأس الى أليكس وقالت بثبات:
«أنا... أنا أظن، لا أعرف ربما لأنه ليس عندي تجربة بهذه الأمور ولكن أظن أني سأضع الطفل».
«بالطبع ستضعين الطفل».
«لا، أقصد الآن».
وشعر أليكس بالجنون، وشارلوت شعرت برغبة بالضحك وقال لها:
«ولكن لا يمكنك. اعني انه ليس وقتك بعد، هناك ستة أسابيع لولادتك».
«أنا أعرف ذلك ولكن أظن اني سأضع الطفل».
خلع أليكس جاكيته وقال:
«يا إلهي، أين ماريا؟»
وخرج من الغرفة واستندت شارلوت على الأريكة، هل من الممكن؟ هل من المحتمل أن يلد الطفل مبكراً؟ هل أجهدت نفسي بالمشي؟
وعضت على شفتها واستغربت انها لم تعد خائفة الآن، كل همّها كان أليكس وردود فعله لم ترده أن يقلق عليها.
وعاد مسرعاً وتلحقه ماريا وقالت:
«الآن سيدتي، ألا تتخيلين ذلك؟»
وهزّت شارلوت كتفيها وقالت:

«لا أعلم، ولكنني تألمت منذ دقائق بالاضافة الى أن ظهري يؤلمني منذ أن عدت من عند ألني».

وتمتمت ماريا بغضب وقالت:

«عرفت انه يجب عدم ذهابك».

وأجابها أليكس بحدة:

«لماذا لم تمنعيها؟»

واستدار على شارلوت وقال:

«ألا تظنين أنه يجب أن تجلسي؟»

وهزت رأسها مجيبة:

«أنا بخير ولكنني أريد فنجاناً من الشاي».

وتبادل أليكس و ماريا النظرات وذهبت ماريا. وحدّق أليكس للحظات بزوجته وهزّ رأسه وقال:

«لماذا فعلت ذلك يا شارلوت؟ مشيت كل هذه المسافة؟ من المؤكد انك تدركين أنه من الحماقة التصرف بهذا الشكل».

وأشاحت شارلوت وجهها عنه، لأنها لم تتقبل أسبابه للاهتمام بها وقالت له بحدة:

«لا تقلق. حتى ولو وضعت المولود سيكون بخير، فهناك الكثير من النساء يضعن أطفالهن في الشهر السابع».

وقاطعها قائلاً:

«وهل تظنين أني أهتم».

وأخذ ذراعها وقال:

« شارلوت أرجوك اجلسي. أود أن أتكلم معك».

وسمحت شارلوت له أن يجلسها على الأريكة التي كان يجلس عليها قبل قليل وجلس بجانبها. ولكنه قبل ان يتكلّم وجدت نفسها تتألم مرة ثانية. وكان الدكتور قد علّمها أن تأخذ تنفساً قصيراً عدّة مرات لتخفيف الألم، وفعلت ذلك وهي تتمسك بطرف الأريكة حتى انتهت الطلقة.

وشحب وجه أليكس أكثر من وجهها واذ بها تمسك بيديه وتقول:

«كل شيء طبيعي وأرجوك أليكس لا تقلق».

وأجابها:

«يا إلهي شارلوت ماذا يمكن أن أفعل؟ كان يجب ألاّ أسمح لك بالولادة هنا. كان يجب أن تبقي في مستشفى في أثينا قبل ولادتك بفترة».

وعلّقت شارلوت:

«في أي حال لم يكن قد حان وقتي لأكون في المستشفى. بالاضافة الى أنه لا بدّ من أن ماريا قد ولّدت من الاولاد أكثر مما فعلت تلك الممرضة التي وظّفتها، وها هي ماريا قد حضّرت كل شيء».

ونهض أليكس قائلاً:

«لا يمكن أن تكوني جدية. فأنا لن أسمح لماريا...»

«وماذا بامكانك أن تفعل غير ذلك؟ في الحقيقة، أنا لست خائفة. أنا صغيرة وصحتي جيدة وبامكانك أن تمسك يدي».

وجلس بجانبها وأخذ يديها وقبلها وهو يقول:

«آوه شارلوت. أنت تعرفين أني أفعل أي شيء من أجلك، ألا تعرفين ذلك؟»

ونظر في عينيها وتابع:

«هل تسمحين لي أن أحضر ولادة طفلنا؟»

وأومأت شارلوت بالايجاب قائلة:

«اذا كان ذلك ما تريده».

وأجابها بتحشرج في صوته قائلاً:

«انها رغبتي، ولو نفّذت ما أريد فأنا لن أتركك أبداً مرة ثانية».

وأحضرت ماريا الشاي، ولم يكن هناك من فرصة لشارلوت لتردّ على ملاحظته بالاضافة الى أنه عاودها الألم. وتنهّدت ماريا.

وسأل أليكس وهو ينقّل بين ماريا وزوجته:

«هل أذهب لاحضار ألني؟»

وأجابته شارلوت وهي ترتعش لأنه كان لا يزال يمسك بيدها وقالت:

«لماذا تود اقلاقها؟ يمكننا أن نتدبر الأمر».

وتراخى على الأريكة بجانبها وأجابها بتمتمة:

«أتمنى ذلك. حقاً أتمنى ذلك».

وضعت شارلوت مولودها في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي. كان يزن حوالي ثلاثة كيلو غرامات وكان أليكس يقف أثناء الولادة وأخذ الطفل ووضعه بين يديّ شارلوت. وشعرت بالفخر والارتياح وهي تتلمس وجناتـه

المزهرة وتتلمس شعره القاتم. ورفعت رأسها تنظر الى أليكس وتمتمت «لماذا يشبهك؟»

وأجابها بلطف محاولاً اثارتها وقد انحنى يتطلع على الطفل وقال:

«ومن توقعته أن يشبه؟ هل حقاً يشبهني؟»

وتطلّع الى طفله بتفحص حيث جعّد المولود أنفه فتابع أليكس:

«وهل أجعّد وجهي بهذا الشكل، وليس عندي أهداب».

وكانت ماريا ترتب السرير فأجابت قائلة:

«هذا فقط لأن الطفل ولد قبل موعده بأسابيع قليلة. وأنت تعرف تماماً أنه يبدو مثلك تماماً».

وتطلعت شارلوت الى وجه أليكس قائلة:

«هل تعلم أنك تبدو أقل تعباً مما كنت عليه أمس البارحة بالرغم من أنك لم تنم ولا لحظة».

وذكّرها قائلاً:

«ولا أنت أيضاً».

فهزّت رأسها قائلة:

«أنا نمت البارحة مساء. فلا بد أني كنت أحضرّ نفسي بلا شعور للمحنة».

ونظر اليها أليكس بتشكك وسألها:

«وهل كانت كذلك؟ أعني هل كانت محنة؟»

فهزّت رأسها وهي تدسّ اصبعها في قبضة المولود وتبتسم عندما قبض على أصبعها، وتنهّدت قائلة:

«لا، انها لم تكن محنة. آه، كانت تجربة رائعة يجب ألا تفوتها أية امرأة، ولكنني متعبة الآن».

وتابع أليكس نظراته اليها وسألها:

«هل تعنين ذلك؟»

فأومأت بالايجاب قائلة:

«طبعاً».

ونظرت مرة ثانية وقالت:

«وأنت كنت رائعاً أيضاً، شكراً لك. لا أعلم كيف يمكنك أن تتقبل هذا المنظر».

واعترف لها قائلاً:

«يجب أن أعترف بأنه مرّت لحظة شعرت فيها بأنني على وشك أن أسقط مغمياً عليّ. ولكن التجربة تستحق كل هذا، وخاصة عندما رأيته قادماً. ابني. آه، نعم كانت تستحق ذلك».

وتنهّدت شارلوت مرة ثانية وجاءت ماريا وقالت:

«يجب أن تنامي سيدتي».

ونظرت الى سيدها وقالت:

«وأظن أنك أنت أيضاً بحاجة الى النوم».

وتناولت الطفل من بين يدي شارلوت بلطف وابتسمت شارلوت وهي تأخذه

وبعد خروج ماريا انحنى أليكس وعانق شارلوت التي رفعت يديها تعانقه وبادرها بالقول:

« شارلوت، أرجوك».

وفكّ يديها من حول عنقه. ونظر الى ابنه وغادر الغرفة مما جعلها تشعر بالقلق، لقد حصل على ما يريد، فها هي أنجبت له وريثاً من أول محاولة ونفّذت شروط العقد. ولكن ماذا عنها؟ فليس من المعقول ألاّ تشعر بالحب للطفل، فكيف تتركه لغيرها ليربيه؟

١٢ ـ وتحققت الاسطورة

وصلت ألني حوال الظهر لترى ابن حفيدها بعد أن كان الدكتور ليونيدس والممرضة قد وصلا بالهيليكوتتر حيث ذهب فيتوريو الى أثينا في الزورق أثناء الليل ليحضر الطبيب ومساعدته وبعد وصولها بسلام طار الى أثينا ليجلب الأدوات الطبية. كانت الممرضة هانيا في منتصف العمر، ودودة وجدّية. وقام الطبيب بفحص شارلوت والطفل وأكد أنهما بصحة جيدة. واستلمت الممرضة هانيا المسؤولية وأدارت الأمور بلطف ولكن بصرامة، ولما وصلت ألني كانت شارلوت قد استحمّت وتمّ تبديل السرير ووضعوا الورود العابقة في غرفتها. واستيقظ أليكس بعد أن نام قليلاً، وأكدت له ألني أن شارلوت بحالة جيدة وقد استعادت قوتها.

كان أليكس يرتدي بنطالاً مخملياً وقميصاً حريرياً من اللون بيج ودهشت شارلوت للتغيّر الذي طرأ عليه بعد الليلة السابقة. فقد غابت من عينيه نظرة الفشل وعلائم التعب والانهاك، وبدا حيوياً وتبادل النظرات مع شارلوت التي نمّت عن تجربة مشتركة.

وقالت ألني:

«هل تذكرين أن قدومك لزيارتي مسؤول عن هذا».

وتابعت موجهّة حديثها لأليكس:

«قلت لها أنه ما كان يجب أن تحضر».

وتقدّم أليكس من السرير ونظر الى ابنه بين يدي أمه باحثاً بفمه عن صدرها ليرضع، وقال لجدته:

«يجب أن تشعري بالسعادة يا تيتة».

وكان يتلمس رسغ الطفل. وتابع قائلاً:

«ليس هناك الكثير من الفتيات يمشين أربعة أميال وهن في حالة شارلوت فقط لرؤية امرأة عجوز».

وهمهمت ألني وأجابته بعصبية:

«وأنت كان يجب أن تكون هنا لتمنعها من القدوم، وأظن أنك ستبقى هنا الآن».

وأومأ أليكس بينما يتلمس ذقن الطفل. وقال:

«أوه، نعم، سأبقى الآن أليس كذلك يا شارلوت»

ولم تعرف شارلوت ما تجيبه وما يعني، إلاّ اذا كان يعني أنه سيبقى بما أنها راحلة الآن. على الأقل الى أن يوظّف مربية لترعى الطفل. وبدأ قلبها يعتصر وهي تردد لنفسها: يا إلهي أود أن أبقى، أريد أن أرحل. مهما قال أو فعل في الماضي ومهما كانت دوافعها لقبول العقد ولكنها تود البقاء. هنا بيتها وهذا زوجها وهي تحبه.

وأخذت ألني تتحدّى شارلوت بقولها:

«حسناً، شارلوت أخبريني، هل سيبقى الآن أليكس أم لا؟»

ولحست شارلوت شفتيها الجافتين وقالت:

«أنا... هذا راجع له، انه قراره».

وغمغمت ألني بعصبية وقالت:

«يبدو أن كلاكما مسؤول عن طفلكما».

ووقفت وهي تتابع:

«سأغادر الآن، الحمد لله أنكم بخير».

وتلمّست رأس الطفل وقالت:

«تهانيّ لكما أنتما الاثنان».

ورافق أليكس جدته الى حيث كان ياني بانتظارها لينقلها بالعربة وعندما عاد كانت الممرضة هانيا مع زوجته وكان واضحاً أن وجوده غير مرغوب فيه، وهز كتفيه متأسفاً وخرج، وفي الحقيقة شارلوت كانت لا تزال متعبة ونامت معظم النهار. وبعد عشاء خفيف أعطتها الممرضة حبة منوّم لتنام طوال الليل. وبالتالي كان الصباح مرة ثانية قبل أن تكتشف شارلوت أن أليكس نام في غرفة تبديل الثياب.

كانت الممرضة هانيا مهتمة باقناع شارلوت برضاعة ابنها وكانت

شارلوت مترددة لأنها لم ترد أن تجعله معتمداً عليها بهذه الطريقة ولكن لم يكن بامكانها نكران شعورها الجميل بالامومة عندما بدأ يرضع منها بنهم. كانت تجربة مؤلمة وحضر أليكس ليراقبها وعلى وجهه علائم الرضى. ولم ينفردا في الأيام القليلة التالية وحتى عندما انفردا بدا على أليكس عدم الرغبة بمناقشة أمور شخصية ولم يضايق شارلوت تأخير مناقشة الأمر. ولم تكن قوية بشكل كاف لتواجه ما قد يأتي.

وبعد يومين بدأت شارلوت تنهض وتسير، واستغرب أليكس لأنه توقعها أن تبقى في السرير لأسبوع على الأقل، ولم يسرّ كما يبدو عليه واضحاً، ولكن ما من شيء يمكنه فعله وخاصة أن المرضة هانيا كانت مسرورة بمريضتها.

وبعد أسبوع طلب الدكتور ليونيدس أن يعود الى أثينا، حيث أن مرضاه الآخرين بانتظار اهتمامه، وخاصة بعد أن تأكد من أن شارلوت وابنها كانا بحالة جيدة. وبقيت الممرضة هانيا، فقد وظفها أليكس لمدة شهر وكانت شارلوت سعيدة بوجودها ومساعدتها لها. فهناك الكثير من متطلبات الطفل، وبالرغم من أن ماريا اهتمت بالغسيل الزائد فشعرت أنها دائماً مشغولة بشيء ما. بالطبع اطعام الطفل أخذ معظم الوقت. واطعامه في منتصف الليل والصباح الباكر منعها من النوم أكثر من ثلاث ساعات متواصلة. كان ذلك مضنياً. ومع ذلك صدمت عندما سمعت أليكس يناقش الممرضة في غرفة الطفل قائلاً:

«ألا يمكن أن تعطيه الحليب بالزجاجة».

تكلّم باليونانية ولكن شارلوت تمكّنت من الفهم.

وأصرّت الممرضة بهدوء:

«اذا كانت السيدة فولكنر قادرة على أرضاعه لثلاثة أو أربعة أسابيع نكون قد حصلنا الغرض. وليس هناك من بديل...»

وقاطعها أليكس قائلاً:

«لا تحاولي اقناعي أن حليب الأم... أنا لا أصدق ذلك. وأثبتت التجارب في بعض الحالات أن أطفال الزجاجة بحالة صحية أفضل».

وأجابته الممرضة:

«لم أحاول أن أقول حليب الأم، ولكني وددت أن أقول أنه شعور الحماية الذي يحصل عليه الطفل بين ذراعي أمه. وقد ثبت أن الأطفال الذين ترضعهم

أمهاتهم يكونون متوازنين بشكل عام أكثر».

ولم تود شارلوت أن تسمع أكثر. فتسارع تنفّسها ونزلت الدرج الى القاعة ووقفت هناك محاولة تهدئة نفسها. من الطبيعي أن يصرّ أليكس على أن يتم ارضاع الطفل حليباً اصطناعياً. فطالما أنها ترضعه فوجودها هنا ضروري وأليكس لا يريد ذلك. ليس الآن بعد أن حصل على ما يريد. لماذا لم يخبرها بأي شيء وانما أخبر الممرضة.

وعندما أحضرت الممرضة هانيا الرضيع لشارلوت تناولته شارلوت مجبرة وقالت:

«ألا تظنين أيتها الممرضة أننا بامكاننا أن نرضعه بالزجاجة؟»

وتمتمت الممرضة هانيا وقالت بعصبية:

«هل تحدث معك زوجك يا سيدة فولكنر؟»

وأجابتها شارلوت بصدق:

«لا. لماذا؟»

«لأنه قال لي الشيء نفسه. حسناً، اذا كانت هذه رغبتكما. فالطفل عمره ستة عشر يوماً ولا أظن أن ذلك سيضرّه».

وشعرت شارلوت بالدموع في عينيها عندما لاحظت على وجه ابنها الرضى والسعادة بينما كان يرضع وقد أمسك بصدرها بقوة وأغمض عينيه يرضع حليبها بنهم. صحيح أنها كانت متعبة ولكنها ستفتقد لحظات الرضاعة وبامكانها في مثل تلك اللحظات أن تقنع نفسها أنه لا يمكن لطفلها الاستغناء عنها. وانتقل الطفل بسهولة الى الزجاجة وكان ذلك يعني أنه بامكان شارلوت النوم أثناء الليل. حيث أن الممرضة كانت تطعمه الوجبات الليلية وبالتدريج بدأ ينام فترات أطول.

وما زالت شارلوت لم تناقش أي شيء مع أليكس أكثر من أمور بسيطة منوعة.

وصل جورج منذ أيام قليلة، ومنذ وصوله لم تر إلاّ القليل من زوجها. وقبل يومين من موعد مغادرة الممرضة هانيا وصلت امرأة صبية اسمها غليندا فرانسيس انكليزية الجنسية. وانتاب شارلوت الخوف عندما قدّمها أليكس على أنها المربية الجديدة.

مربية.. يبدو أن أليكس يحاول أن يؤكد عدم ضرورة وجودها في الجزيرة.

ولكن ماذا عنها؟ ماذا عن شعورها؟ اذا لم يهتم بشعور الطفل؟ حتى اسم الطفل لم يناقشاه الى الآن على حدّ علمها لم يكن قد سجل بعد وبدا أن دورها قد انتهى وببطء ولكن بشكل أكيد كان يتم ابعادها عن الساحة.

هناك شيء في داخلها دفعها للتمرد والاصرار على البقاء في الجزيرة على الأقل حتى يصبح عمر الطفل بضعة أشهر. ولكن عقلها أملى عليها بأن هذه حماقة لأنه اذا بقيت فستصبح مغادرتها بعد ذلك أصعب. وبدأت تقتنع بأن الطفل بدأ يميّزها وبدأ يجلس وينتبه الى ما حوله.

كانت تتمشى حوال غرفة النوم بقلق ممزقة بين عواطفها. لماذا تكلّمت باهمال عن ترك الطفل بعد ولادته، وكيف خطر لها انه بامكانها تنفيذ ذلك.

وشعرت بضيق شديد دفعها لتذهب لرؤية أليكس، ووجدته في المكتبة حيث كان جورج برفقته.

ونهض لدى دخولها وبعد أن حيّاها جورج ترك الغرفة، وتطلعت الى المائدة حيث كانا يعملان. وانتبهت الى احدى الوثائق القانونية وقد تركت جانباً باهمال. كانت نسخة من العقد الذي أعطاها اياه السيد فولستاف، وشعرت بالضعف وقالت:

«ماذا تفعل؟ تكتب اتفاقية نهائية؟ الجملة التي تطلق سراحي من هذا العقد؟ وما دخل جورج في ذلك؟ وهل تناقش الأمر معه؟»

ونهض أليكس وأجابها بهدوء:

« جورج محامياً. وظننتك تعرفين ذلك».

وأجابته:

«أتعني أنه هو الذي كتب العقد في الأصل؟ وعرف كل شيء عن الموضوع؟»

وأومأ أليكس قائلاً:

«نعم انه الوحيد الذي يعرف».

وضغطت شارلوت على شفتيها وقالت:

«اوه، حقاً».

«ماذا تريدين يا شارلوت؟ أنا أود أن أنهي هذه الأوراق، وأبقى حراً من العمل لمدة أربعة أسابيع على الأقل».

وحدّقت شارلوت فيه قائلة:

«لماذا؟ أهذا ما يستغرقه الحصول على الطلاق هذه الايام؟»

واستدار حول المنضدة وتقدّم منها وقال:

«طلاق؟ عماذا تتكلمين؟»

وابتعدت شارلوت قائلة:

«طلاق. طلاقنا. لا تحاول أن تتظاهر بأنك لا تذكر، ليس وهذا العقد أمامك».

وبدا عليه الشحوب وقال بتمتمة غير مصدقة:

«أنت تريدين الطلاق؟»

«أنت تريد».

وتضيّقت عينا أليكس وشدّها اليه وعانقها وقال:

«هل تفهمين من هذا أني أريد الطلاق؟ يا إلهي شارلوت. حاولت أن أبتعد عنك لأتحكم بمشاعري ولكنك تبالغين بتجربتي».

وأسند جبينه على جبينها وقال:

«حسناً... ألا زلت تريدين الرحيل».

وحرّكت رأسها بلا قوة وقالت:

«ألا تريدني أن أذهب؟»

«لا. أنا لا أريدك أن تذهبي يا شارلوت. أنا أحبك. أحببتك وقتاً طويلاً جداً حتى قبل أن تعرفي بوجودي».

وقطبت شارلوت قائلة:

«أنت تعني...»

«اعني أني تزوجتك لأني أحببتك، لأنني وددت أن أهتم بك ولم أتحمل فكرة كونك لوحدك وربما كنت وجدت شخصاً آخر قبل أن أتمكّن من اخبارك بما أشعر».

لم تتمكن شارلوت من تفهم ما كان يقول، وسألته:

«هل تعني أنك كنت ستتزوجني في أي حال؟ وماذا عن تلك الفحوصات؟»

«حتى أني لم أسأل عن النتائج. كانت مجرد طريقة لاقناعك بأني عنيت ما قلت».

«ولكن... لكن لماذا لم تخبرني بشعورك؟ أبي...»

وهزّ رأسه وقال:

«وهل كنت تأخذين كلامي على محمل الجد؟ رجل في عمري؟»

«ربما كنت صدّقتك».

«لم يكن ممكناً أن أخاطر، بالاضافة الى أني لم أكن مجبراً».

«وهل علم أبي؟»

ودفعها أليكس عنه بلطف وقال:

«عرفت أنك ستسألين هذا السؤال».

وقطّبت شارلوت وقالت:

«ماذا حصل منذ ثمانية أعوام؟»

وعبس أليكس قائلاً:

«وماذا تعرفين عن ثمانية أعوام مضت؟»

«لا شيء. لهذا أسألك. جورج ذكر شيئاً...»

وبدا الضيق على أليكس وقال:

« جورج. كان يجب أن أدرك».

«ولماذا يجب ألاّ أعرف اذا كان الموضوع يخصني؟»

«لا يخصك. ربما بشكل غير مباشر».

«اوه. أليكس».

وتقدّم أليكس منها ورفع ذقنها محدقاً بعينيها وقال:

«أجيبيني على سؤال واحد. هل تحبينني؟»

وابتلعت شارلوت ريقها وأومأت برأسها وقالت:

«أظن أنك تعرف أني أحبك».

وبدا عليه السرور بجوابها وقال:

«اذاً، هل تتقبلين أنه مهما حصل منذ ثمانية أعوام، نحن نحب بعضنا اليوم؟ وحياتنا معاً بدأت منذ فترة وجيزة. ولهذا اتخذت أنا كل هذه الترتيبات. أريد أربعة أسابيع اجازة لاصطحبك برحلة الى مكان ما بعيداً عن الجميع لوحدنا، ابرهن لك أن حبي لك يتفوّق على كل شيء، حتى حبي الذي لا يقدّر بثمن لابننا. وأما بالنسبة للعقد فهو باطل ويجب تمزيقه. أعرف أني استعملته لأحصل على ما أريد. يمكنني أن أكون قاسياً أحياناً كما تعرفين، ولكن دوافعي لم تكن كلها أنانيتي».

وتنفّست شارلوت بعمق وقالت:

«ولكنك.. لكنك قلت أنك لست متأكداً من العودة هنا بعد... بعد».

«أعلم أني قلت ذلك. كانت هذه الحقيقة. ومهما كنت تتوقعين، كنت أريد لك الاستقرار في الجزيرة. وأردت أن نعرف بعضنا البعض. ولم تكن من ضمن

خططي أن أتزوجك بالقوة ولكن كنت...»

وتوقف قليلاً وتابع:

«ألا تتخيلين كيف شعرت؟ وخاصة بعد أن طردتني لدى مغادرتي. وشعرت أن عودتي ربما أجبرتك على القيام بعمل يائس. يجب أن تعرفي أنك كنت خائفة مني».

وتمتمت قائلة:

«في البداية... ولكن بعدها كنت خائفة من نفسي».

وأجابها بلطف قائلاً:

«أدركت ذلك ولكن لم أكن متأكداً كيف تشعرين تماماً. ولم تتصرفي على طبيعتك إلاّ بعد عودتي آخر مرة من السفر أو على الأقل هذا ما تمنيت...»

وغطّت شارلوت عينيها بيديها وقالت:

«ماذا عنيت بأنك أحببتني حتى قبل أن أعرفك؟ لم أسمع بك، أبي لم يذكر لي اسمك على الاطلاق».

وأجابها أليكس:

«لا. لا أظن أنك سمعت بي».

وتوقّف قليلاً وتابع قائلاً:

«عندما رأيتك لأول مرة كنت في الثانية عشرة من عمرك وكنت ترتدين ثياب المدرسة وقتتذ تلحقين بأبيك الذي كان يجب أن يعرف أكثر مما عرف».

واسودّت عيناها وقالت:

«أرجوك لا تتكلم بهذه الطريقة عن أبي».

وحاول أليكس السيطرة على صبره بجهد وقال:

«طيب. طيب. أنا كنت... كنت في الثالثة والثلاثين في ذلك الوقت. وكنت قد أدرت مؤسسة فولكنر لمدة عشر سنوات. وشعرت أنك غير سعيدة».

ودافعت شارلوت عن نفسها بقولها:

«كانت وفاة والدتي حديثة. كنا أنا وأبي تعساء لذلك السبب».

وأجابها أليكس باختصار:

«أحقاً...طيب، أقبل ذلك. حسناً. أظن أن مشاعري تجاهك بدأت بالعطف ولماّ كبرت تغيّرت مشاعري، ولكن كنت ما زلت صغيرة وما زلت الى الآن. ولكن يا إلهي أنا رجل ولست قديساً. وأردتك وما زلت».

وسألته:

«وكان هناك نساء أخريات».

وأجابها بلا مبالاة:

«علاقات عابرة لا أكثر».

«وماذا عن ايرينا؟»

وحدّق بها بتعجب وسألها:

« ايرينا؟ هل حقاً أنت جدّية بظنك أني كنت مهتماً بايرينا؟»

«لقد رقصت معها وسمحت لها بمغازلتك».

«أعرف ذلك. وهذا مما أثار غيرتك».

ومن ثمّ وضع يده على فمها عندما حاولت الاحتجاج وتابع قائلاً:

«حقّقت هدفي».

وأبعدت شارلوت يده وقالت:

«أنت تعني... آه، أليكس».

ونظر اليها برقة وقال:

«حسناً... اذاً مشكلة الطفل محلولة. ما هو جوابك؟»

وسألته بتعجب:

«هل تدرك أننا لم نسمّيه بعد؟»

وأجابها أليكس بهدوء:

«مبدئياً اسمه نيكولاس ألكسندر، إلاّ اذا كان عندك أي تفضيل».

وردّدت شارلوت الأسم برقة:

« نيكولاس ألكسندر؟ آه، لا، لا أفضل أي اسم ثان. أظنّ أنها أسماء مثالية».

«حسناً، تمنيت أن تعجبك الاسماء».

وعرفت شارلوت أن لحظة الحقيقة اقتربت وقالت بهدوء:

«تطلب مني أن أثق بك. وأنسى موت أبي ـ واحتمال انتحاره ـ وأحبك بالرغم من ذلك؟»

وهزّ رأسه وقال:

«انه ليس قراراً سهلاً».

وقامت شارلوت بحركة بسيطة من رأسها وقالت له وعيناها ملؤها العاطفة:

«لا يمكن أن يكون، أعني قراراً سهلاً ولكن... أليكس، ليس هناك من فائدة، أنا

لا أستطيع أن أتركك. أنا أحبك جداً».

«آه، شارلوت».

وعانقها أليكس بشدّة، وبالرغم من مشاعرها تجاه أبيها شعرت بانتمائها له، وتمنّت أن يسامحها أبوها على فعلها.

ولم يسمعا طرق الباب ودخل جورج، وابتعد أليكس عن زوجته وسأل جورج:

«ما الأمر؟»

«وصل فيتوريو، لأنك طلبت منه أن يحضر لينقل الممرضة هانيا الى أثينا».

وأجاب أليكس:

«نعم. يا إلهي لقد نسيت ذلك».

وابتعد عن شارلوت بأسف وطلب منها بتحشرج قائلاً:

«انتظريني هنا».

وأومأت بالايجاب. وتابع أليكس قائلاً:

«سأعود بسرعة».

ولمّا أغلق الباب خلفه أشار جورج الى كرسي خلفه وقال:

«ألا تجلسين؟»

وتراخت شارلوت على الكرسي بامتنان».

وأضاف جورج برقة:

«علمت أنك ستبقين. وأنا سعيد بذلك».

وأجابته ببساطة:

«لأني أحبه».

«ويجب ألا تشكّي الآن بحبه لك. يا إلهي، عندما أتخيّل تلك الشهور التي مضت بدون أن يخبرك، ليحافظ على ذكرى أبيك. لقد أخبرته أنه أحمق».

وتشنّجت شارلوت. فعلى ما يبدو أن جورج كان يظـن أن أليكس أخبرها بكل شيء. ولكن ماذا هناك؟ وشعرت برغبة بأن تتركه يتابع الحديث:

وتمتمت بغموض:

«أنت... أنت لم تشعر بضرورة ذلك؟»

وأجابها جورج:

«لا. السيد مورتيمور متوفى الآن سواء كان انتحر أم لا. هذا ليس مهماً. ولكن

ليس هناك من مبرر للسماح لها بالتأثير على حياة الآخرين».
وشعرت شارلوت بوجوب الدفاع فبادرته بقولها:
«انه... أبي».
«وماذا عن والدتك؟ ألا تستحقّ شفقتك؟»
ولحسن حظّها لم يكن جورج ينظر اليها ليلاحظ نظرة الحزن التي اعترتها وقالت:
«أمي؟»
«نعم. يا إلهي. وطالما أنك تعرفين أنها ماتت بالسكتة القلبية نتيجة لأنانية أبوك، ألا تشعرين نحوها بالشفقة؟»
ولم تستوعب شارلوت ما قاله وبادرته بالقول:
«أنا... أنا... هل تظن ذلك؟»
«أنا لا أظن... أنا...»
وفجأة أدرك جورج ما قالت واستدار ليواجهها وقال:
«يا إلهي، اذاً هو لم يخبرك؟ وتركتيني أتابع حديثي وأنت لا تعرفين شيئاً. أليكس، يا لك من أحمق».
ونهضت شارلوت ومدّت له يدها راجية وقالت:
«لا، أرجوك... أرجوك لا تغضب مني. ولكن لم أسيطر على رغبتي بالمعرفة».
«هل تعنين... أنك كنت على استعداد للعيش مع أليكس بدون معرفة الحقيقة؟»
وأومأت شارلوت قائلة:
«اذا كان هناك ما لا أعرفه. نعم، نعم كنت على استعداد».
وهزّ جورج رأسه بتعجب وقال:
«لقد قال لي ذلك أليكس. لأنه كان يعتقد أنه ما من حاجة لجرحك أكثر. وها أنذا حطّمت كل شيء».
وشبّكت شارلوت يديها وقالت:
« جورج ومن أين لك أن تعرف. انها غلطتي تماماً كما هي غلطتك. وطالما أنك بدأت يجب أن تخبرني بالقصة كاملة».
وطأطأ جورج رأسه متنهداً بعمق وقال:
«وكيف لي ذلك؟»

«وكيف لا؟ أرجوك جورج. كيف كان أبي سبباً بأزمة أمي القلبية؟ يجب أن أعرف».

وزفر جورج وقال:

«أظن عليّ أن أخبرك. ولكن إذا عرف أليكس...»

«لن يعرف. ليس الآن في أي حال، تابع».

«حسناً. كان أبوك مقامراً مدمناً، اذا صدّقتِ ذلك أم لا. وهذا يعتبر في هذه الأيام مرض ولكن منذ ثمانية أعوام لم يكن الناس ليظهروا استياءهم الى هذا الحد. فكثير من الرجال لعبوا القمار ولم يعتبروا ذلك بشيء وأبوك كان واحداً منهم».

«وأمي؟»

«وخسر أبوك كل شيء من ثمانية أعوام، منزله، عمله، كل شيء».

وعندها دخل أليكس في الموضوع. منذ سنين طويلة عمل جدك مع مؤسسة فولكنر وبناء على ذلك تقدّم أبوك الينا بطلب قرض. ورفض أليكس في البداية. ولم لا؟ فأليكس رجل أعمال، وأبوك لم يكن يملك أية ضمانات. وبالنتيجة وافق وأعطاه القرض. ولسوء الحظ كان الوقت متأخراً لأن أمك كانت مهمومة لاكتشافها ديون والدك المتراكمة وأنت تعلمين ماذا حدث».

وارتجفت شارلوت قائلة:

«آه، لا».

«للاسف هذا ما حصل. وفي أي حال صرف القرض وألفّ قصة مطوّلة عن ابنته التي كان يجب أن تترك المدرسة بسبب الاقساط وافق أليكس على منحه القرض شرط أن يتوقف عن القمار».

«ولكنه لم يتب؟»

«لا. شاهده أليكس في كان و مونت كارلو وفي سانت موريتس، حيثما تجدين كازينو كان أبوك موجوداً. وكان واضحاً أنه كان يراهن على عقارات لم يكن يملكها في الحقيقة. وحصل المتوقّع وخسر كل شيء للمرة الثانية في حياته وديونه في تلك المرة تفوق الخيال. وعاد يزحف الى أليكس. أراد أليكس أن يحميك ولم يكن هناك من طريقة أخرى، لأنه لم يرغب في تبنيّك. وأي شيء آخر سيكون مكاناً لكل أنواع الشكوك والتفسيرات، ولم يكن هناك من وسيلة غير الزواج ويبدو أن أبوك لم يتحمل نتيجة ما فعل، وبالرغم من أنه ليس من دليل هناك، ولكن بوليصة التأمين تقف كشاهد وحيد على انتحاره ربما».

«ولكن كيف يمنحونه بوليصة تأمين وهو في حالته المادية تلك؟»

«لأنه طلب من أليكس أن يجعل كل الوثائق بينهما سريّة. كان أبوك يعرف ماذا يفعل وما من أحد في المدينة يعرف أن أليكس كان يملك شركة مورتيمور».

وضحك ضحكة خفيفة وتابع:

«يا له من خطأ».

وغاصت شارلوت في كرسيها مرة ثانية. كيف كانت تلوم أليكس طوال هذه الشهور على موت أبيها ولكن كما قال جورج، كان يجب أن يخبرها؟ فلو أصرّت على معرفة الحقيقة فلا يمكن له أن يكون على يقين من سبب موافقتها هل هو دافع الحب أم الامتنان.

والآن هي سعيدة بمعرفة الحقيقة، وكانت سعيدة أكثر أنها وثقت بأليكس.

وفتح الباب أليكس ودخل مرة ثانية وقال:

«حسناً. جورج انه بانتظارك يريد محادثتك».

أومأ جورج برأسه وترك الغرفة. وبعد أن أغلق الباب، نظر أليكس الى شارلوت وقال:

«حسناً، هل فكّرت مرة ثانية؟»

وأومأت مجيبة:

«وثالثة ورابعة».

واندفعت لتعانقه وقالت:

«آوه، أليكس سأفعل كل ما في وسعي لاسعادك».

ونظر اليها أليكس برقة وقال:

«وماذا فعلت حتى أستحق ذلك؟»

واغرورقت الدموع في عينيها وقالت:

«لا شيء. ولكن قل لي شيئاً واحداً، لماذا أردتني أن أتوقف عن ارضاع نيكولاس؟»

وأعجب باسم الطفل عندما ذكرته شارلوت، وقطب قائلاً:

«ومن قال لك ذلك؟»

«لست بحاجة لأن يخبرني أحد. سمعتك تتكلم مع الممرضة هانيا».

«باليونانية؟»

ورفعت عينيها وقالت:

«لم أكن كسولة كلياً في غيابك. وأجبني الآن لماذا؟»

وأجابها أليكس:

«يمكنني أن أقول أني شعرت بالغيرة ولكن لن أقول ذلك».

وسرّ باحمرار وجهها وتابع:

«حبيبتي كيف لي أن أحتفظ بك لنفسي ونذهب باجازة اذا كان كل وقتك مشغولاً هنا؟ بالاضافة الى أنه كان يبدو عليك الارهاق وكنت قلقاً عليك. وهل أعجبتك الآنسة فرانسيس؟»

«أنا بالكاد أعرفها، ولكنها تبدو ماهرة في عملها».

ووافق أليكس بجدّية:

«رسائل التوصية التي جلبتهم كانت جيدة جداً. فقد كانت مربية لأطفال أحد زملائي في العمل. لم أكن لأترك طفلنا بأيدي أية انسانة. ولكن اذا كنت غير سعيدة...»

وتنهّدت شارلوت بالرضى وقالت:

«لا، أنا سعيدة. لماذا لم تخبرني قبل الآن؟»

وهزّ أليكس رأسه وقال:

«ربما كنت خائفاً حبيبتي، كان من المحتمل أنك لا زلت تكرهينني ولم أكن لأتحمّل ذلك».

وفكّرت شارلوت بمدى حبها لزوجها وشعرت بمدى صعوبة الحياة بدونه وقالت:

«في أي حال أنا سعيدة ان وقت الانتظار قد مضى».

وأجابها:

«وأنا سعيد بذلك أيضاً. لأني بدأت أتعب من النوم في غرفة تبديل الثياب».

وعانقته شارلوت وهي تفكّر لنفسها انها ستخبره يوماً بما قاله لها جورج، ولكن ليس الآن. فيكفي الآن أنهما معاً وأن ابنهما سيسعد بحب كل من والديه. وهكذا تحقّقت اسطورة ليدروس.

الباقة المقبلة من عبير

رمال في الاصابع

تأليف فلورا كيد

يعيش الانسان حياته، يتساءل أهو مسيّرّ أم مخيرّ؟ كالسفينة تتلاعب بأشرعتها رياح الأقدار.

ديليا الجميلة ضرب لها القدر موعداً مع الحب اعتقدت أن سعادتها ستدوم. ولم تكن تعلم أن عذابها سيكون طويلاً ومريراً، وسيتركها حبيبها الدكتور الثري ادموند بعد أشهر من زواجها ليسافر في بعثة طبية بحثاً عن الأمراض الاستوائية. إلاّ أن يد القدر تدخلت مرّة ثانية لتسقط الطائرة في أدغال البرازيل قبل ان تخبره ديليا بأنها حامل... ترى هل تتدخل الأقدار من جديد لتجمع بين القلبين صدفة كما فعلت في السابق؟ وهل تقبل ديليا الزواج من بيتر صديق زوجها الذي سبّب فراقهما، أم تبحث عن ادموند في مناطق منعزلة وبدائية تقطنها قبائل متوحشة معرضة حياتها للخطر والمرض؟

